ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيَوْسيّ للفتح بن خاقان: دراسة وتحقيق

د. فايز عبدالنبي القيسي *

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٧/٤/١٧ تاريخ القبول: ٢٠٠٧/٧/١٠

ملخّص

يتناول هذا البحث دراسة تَرْجَمَةِ ابْنِ السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيِّ للفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ، وتحقيقها. وقد جاءت هذه الدراسة في قسمين، يبين القسم الأول مساهمة الفَتْحِ ابْنِ خَاقَانَ في تخليد مآثر الأندلسيين وتسجيل أروع ما أنتجته قرائحهم من النظم الرائع، والنثر البديع، من خلال هذه الترجمة الأدبية لأستاذه ابْنِ السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيِّ ، الذي يعدُّ أحد أعلام الأندلس في اللغة والأدب والفكر، ويكشف عن دوافع تأليف هذه الترجمة ومنهجها ومصادرها، وموضوعاتها، وأهميتها، ثم السمات الفنية واللغوية لها.

وقد كشف البحث عن اعتداد الفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ بقدراته الفنية، وإعجابه بإنتاجه التأليفي، واعتزازه بمكانته الأدبية التي بزَّ بها معاصريه وسعيه للكشف عن موهبته في الإنشاء الأدبي، وسعة محصوله الثقافي واللغوي. وبين البحث أن هذه الترجمة جاءت مرآة تعكس شخصيته الثقافية، وذوقه الأدبي، وأسلوبه الفني الذي تميز بأنه يجمع بين موسيقى الشعر، وفصاحة النثر، وبلاغة الصياغة اللفظية الفنية، والعبارة الجزلة الرنانة ذات الإيقاع الجميل. وقد تتضمن هذه الترجمة أحكاماً نقدية ذوقية تأثرية مقتضبة غير مُعلَّلة في الغالب، تتصل ببعض جوانب شعر ابْنِ السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيِّ ، ومجالات التجويد فيه، كالإبداع في بناء الصورة الشعرية والموازنات بينه وبين الشعراء الآخرين من المشارقة والأندلسيين. وتعد هذه الترجمة مصدراً مهماً لكثير من المصادر التي جاءت بعدها وترجمت لابْنِ السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيِّ ؛ كما أن هذه الترجمة تتضمن قصائد ومقطعات ونتفاً شعرية وأخباراً تاريخية مختلفة تصور بعض مظاهر الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية البارزة في عصري الطوائف والمرابطين.

أمّا القسم الثاني من هذه الدّراسة فيتضمن تحقيق تَرْجَمَةِ ابْنِ السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيِّ اعتماداً على نسختين، أولهما نسخة خطية محفوظة في مكتبة الإسكوريال. وثانيهما النسخة التي نقلها المقَّري، في الجزء الثالث من كتابه أزهار الرياض، كاملة في أثناء حديثه عن ابْنِ السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيِّ، وهو من شيوخ القاضي عياض، وهي منشورة دون تحقيق علمي؛ إذ يعتورها بعض الأخطاء في القراءة، وتفتقر نصوصها إلى الضبط والتخريج والتوضيحات الضرورية، وعدم معارضتها بأصولها المحققة والمنشورة؛ لذا تبدو أهمية تحقيق تَرْجَمَةِ ابْنِ السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيِّ تحقيقاً علمياً يجعل نص الترجمة قريباً من صورته الأصلية الّذي كتبه عليه مُنْشِئُهُ.

Abstract

The Biography Of Ibn Al-Sid Al-Batalyawsi By Al-Fath Bin Khaqan: Study And Editing

Dr.Fayiz Alqaysi

This research aims to study the biography of Ibn al-Sid al-Batalyawsi by al-Fath bin Khaqan, which is followed by a kind of anthology containing poems by Ibn al-Sid al-Batalyawsi and other poets, and presents an edited text of this work. Thus, this research is

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

divided into two major parts. The first part is devoted to the study of al-Fath bin Khaqan's work as one of his three surviving works in the field of literary biography. The study highlights the participation of the author in the field of Andalusian literary biographies, the reasons that motivate him to compile this work, its sources, contents, methodology, artistic and linguistic characteristics, and presents an assessment of its literary and anthological value.

The second part of this research is the edition of Ibn al-Sid al-Batalyawsi's biographical text, which is based on two manuscripts of the same text: those of El-Escorial and Azhar al-Riyad. Quotations, some literary traditions, verses of poetry and others have been traced back to their original sources.

أولاً - الدراسة

١ - مفهوم الترجمة الأدبية

يعد فن الترجمة الأدبية من أهم ألوان التراجم التي شاعت عند الأندلسيين[١]، وهي تهدف إلى التعريف بالإبداع الأدبي للمترجَم لهم من ملوك الأندلس ووزرائها وأعيانها من أهل الأدب والشعر والبلاغة والأدباء، وعرض نماذج من شعرهم الرصين ونثرهم البديع، وتختلف صياغة هذه التراجم من مؤلف لآخر، كما يتباين حجمها من حيث الطول والقصر، وطريقة عرضها، غير أن الغالب فيها أنها تتضمن حديثاً عاماً عن الأعلام المترجم لهم، دون تعمق في جزئيات حياتهم، كما هو الحال في أصناف الترجمة الأخرى، وأنها تقدَّم في إطار من تأنق المؤلف في لغته وصياغته بطريقة فنية حافلة بضروب المحسنات البديعية: اللفظية والمعنوية، آخذة بالمثل الأعلى السائد، وسائرة على مقاييس العصر الأدبية[٢].

---

(١) لقد تنوعت ألوان الترجمة عند الأندلسيين تبعاً لتنوع الأهداف والغايات التي يسعى إليها أصحابها، وتبعاً لاختلاف المادة المدونة، وتتمثل في ثلاثة أنواع إضافة إلى الترجمة الأدبية، هي: أولاً - الترجمة العلمية التي تسعى إلى التعريف بالعلماء من الفقهاء والمحدِّثين والحفّاظ والقضاة والقراء والمؤرخين وغيرهم، وبيان دورهم في الحركة العلمية، من خلال الحديث عن أوليتهم ومشيختهم، وتلامذتهم، وبيان أحوالهم، ومصنفاتهم، وتواريخ وفياتهم. ثانياً - الترجمة البرنامجية التي يكتبها المؤلف في برنامجه أو مشيخته، ويهدف فيها إلى التعريف بذاته وبأساتذته، وما نقل عنهم من علوم ومعارف. ثالثاً - الترجمة البلدية أو المحلية وهي التي تهدف إلى التعريف بالمشهورين من العلماء والأدباء والمتصوفة والملوك والوزراء والأعيان وغيرهم ممن نبغوا في بلد معين، أو وردوا عليها من غير أهلها، وذكر أخبارهم ومشهور مصنفاتهم، وغير ذلك. لمزيد من التفصيل انظر: عبدالله الترغي المرابط، " ابن الخطيب في كتابة الترجمة"، **مجلة كلية الآداب بتطوان**، السنة الثانية، العدد ٢، ١٩٨٧، ص٢٠٩-٢٣٦، ص ٢٠٩-٢١١؛ هاني العمد، **دراسات في كتب التراجم والسير**، ط١، المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان، ١٩٨١، ص١١٢-١٣٥؛ محمد عبدالغني حسن، **التراجم والسير**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص٧٥-٧٨.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥، ص٢٦٦-٣٠٦؛ محمد مسعود جبران، **فنون النثر في آثار لسان الدين ابن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبية)**، ط١، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤، ج١، ص ٢٩٨-٣٠٤؛ عبدالله الترغي المرابط، " ابن الخطيب في كتابة الترجمة"، **مجلة كلية الآداب بتطوان**، السنة الثانية، العدد ٢، ١٩٨٧، ص٢٠٩-٢٣٦، ص ٢٠٩-٢١١. وتكثر مصنفات هذا النوع من التراجم الأدبية في الأندلس.

٢ - مساهمة الفتح بن خاقان في فن الترجمة

لقد تخصص الفتح بن خاقان[١] بكتابة الترجمة الأدبية؛ حتى عد أحد أقطاب هذا الصنف من التراجم في الثقافة الأندلسية، ذلك أن كتابته كانت بارزة ومثيرة في هذا الصنف، إذ وضع ثلاثة مصنفات هي: قلائد العقيان[٢]، ومطمح الأنفس[٣]، وكتيب صغير في ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ[٤].

٢/٢ أسباب تأليف هذه الترجمة:

لعله من المفيد الإشارة إلى أن هناك دوافع مشتركة لتأليف الفتح بن خاقان الثلاثة؛ ذلك أنها في موضوع واحد هو فن الترجمة الأدبية الذي يسعى إلى تخليد مآثر الأندلسيين وتسجيل أروع ما أنتجته قرائحهم من النظم الرائع، والنثر البديع، فهو يحدثنا عن أنه ألف كتاباً ضخماً في أعيان الأندلس وعلمائها العظام، وقد حالت الظروف بينه وبين نشر كتابه هذا فخاف عليه الدثور، وخشي أن تذوب النفوس عليه، فاختار منه ترجمة لتكون دالة على عظمة تأليفه، يقول: " لِيَبِيْنَ بِهِ فَضْلُ مَنْ ضَمَّنْتُهُ تَصنِيْفِي، وَيُعْلَمَ بِأَخْبَارِهِ مَا أَوْدَعْتُ فِيْ تَأْلِيْفِي، وَيُرَى أَنَّهُ قَطْرَةٌ مِنْ غَمَامٍ، وَدُرَّةٌ مِنْ نِظَامٍ، وَصُبْحٌ يَدُلُّ عَلَى نَهَارٍ، وَنَفْحٌ صَدَرَ عَنْ حَدَائِقَ وَأَزْهَارٍ"[٥].

ويذهب الفتح بن خاقان إلى أن ما رآه من خمول الأدب في تلك الفترة والإعراض عنه إلى

---

(١) لست أرى من الضروري أن أخصَّ حياة الفتح بن خاقان بدراسة في مقدمة تحقيق ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ، فقد ترجم له عدد من كتاب التراجم العرب القدامى. كما كتب عنه عدد آخر من الباحثين المحدثين دراسات كثيرة، انظر على سبيل المثال: ابن سعيد، علي بن موسى (ت٦٧٣هـ/١٢٧٤م)، **المغرب في حلى المغرب**، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤، ج١، ص٢٥٩-٢٦٠؛ ياقوت الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٣٨م)، **معجم الأدباء**، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣، ج٥، ٢١٦٣-٢١٦٥؛ لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن سعيد (ت ٧٦٦هـ/١٣٧٤م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حققه ووضع مقدمته وشواهده محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧، ج٤، ص٢٤٨-٢٥٣؛ دراسة محقق مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ص ١١-١٠٣؛ ودراسة محقق قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ص٧-١٠٠؛ مصطفى الشكعة، **مناهج التأليف عند العلماء العرب: قسم الأدب**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢، ص٦٢٧-٦٣٣؛ عفيف عبدالرحمن، **معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة**، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣، ص١١٥-١١٦.

(٢) انظر: الفتح بن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله القيسي الإشبيلي (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م)، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، ٤ج، حققه وعلق عليه حسين خريوش، ط١،مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٩.

(٣) انظر: الفتح بن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله القيسي الإشبيلي (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م)، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار ومؤسسة الرسالة، عمان، ١٩٨٣.

(٤) انظر: الفتح بن خاقان، **مطمح الأنفس**، مقدمة المحقق، ص٧٩؛ المقَّري، **أزهار الرياض**، ج٣، ص١٠٣-١٣٧.

(٥) **ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ** ، ص٣ و.

أغراض أدنى منه؛ على الرَّغم من " أن الأدب أجمل ما التحفته الهمة، وعرفته هذه الأمة"[1]، قد دفعه 'إلى أن يصمم على أن يحفظ لهذا الأدب رونقه، ويحول بينه وبين الضياع، بتأليف يجمع أروع ما نظم الأندلسيون وكتبوا في عصري الطوائف والمرابطين، حيث يقول: "فَصَارَتْ بِهِ لأَهْلِ الأَنْدَلُسِ أَلْسُنٌ مُفْتَخِرَةٌ، وانْتَشَرَتْ لِمَعَالِيْهِمْ عِظَامٌ نَخِرَةٌ"[2].

إن من أبرز الظواهر التي تثير انتباه دارس كتب الفتح بن خاقان عامة وترجمته لابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ خاصة اعتداده بقدراته الفنية، وإعجابه بإنتاجه التأليفي، واعتزازه بمكانته الأدبية التي بزّ بها معاصريه، على حد قول ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ [3]، فقد أشار في مقدمة مؤلفه إلى أنّه وضع هذا المؤلَّف رغبةً منه في إظهار قدرته على التأليف، والتفوق على كبار أعلام الكلام وفرسان البلاغة القدامى، حيث يقول: "وَرَأَيْتُ فِيْهِ فَضْلَ الأَوَاخِرِ عَلَى الأَوَائِلِ، وَجَرَيْتُ بِهِ أَمَامَ سَحْبَانَ وَائِلٍ[4]، وَمَلَكْتُ بِسَبَبِهِ كُلَّ قِيَادٍ، وَتَرَكْتُ وَرَائِيَ قُسَّ إِيَادٍ[5]"[6]. لقد أتقن الفتح بن خاقان أساليب البيان الرفيع؛ لذا أراد من وراء هذه التصنيف الكشف عن موهبته في الإنشاء الأدبي، وسعة محصوله الثقافي واللغوي.

ويظهر أن الفتح بن خاقان أراد أن يجعل أدبه التأليفي، ومن ضمنه ترجمته لابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ، مرآةً تعكس ذوقه الأدبي، وهو وإن لم يصرح بهذا المعنى هنا، فقد ارتبطت اختياراته الشعرية بشخصيته فجاءت أداة للتعبير عن بعض مواقفه الحياتية، منسجمة مع ما عرف عن شخصيته التي تميل إلى اللهو والقصف والجري وراء الملذات، واختيار المرء جزء من نفسه، كما جاءت مرآة تعكس معارفه وشخصيته الثقافية، وذوقه الأدبي، فهي تكشف لنا بدرجة واضحة عن إحساسه بالمعنى الذي يكتب فيه باعتبار الاختيار لا يخلو من أثر الذات [7].

كما يظهر أن علاقة ابن خاقان بأستاذه ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ كانت وراء أن يفرد كتاباً في

(١) الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، ج١، ص٤٣.

(٢) **ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي**، ص٢ ظ.

(٣) انظر: الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان**، ج٤، ص٧١٣-٧١٤.

(٤) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة، كان خطيباً، يُضربُ به المثل في البيان والفصاحة، انظر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ/١١٢٤م)، **مجمع الأمثال**، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢، ج١، ٢٢٤٩؛ البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، حققه وقدم له وعلق عليه إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١، ص٤٩٦-٤٩٧.

(٥) قس بن ساعدة بن عمرو الأيادي، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية كان أسقفاً بنجران. انظر: ابن قتيبة، **المعارف**، ص٦١

(٦) **ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي**، ص٢ ظ.

(٧) جبران، **فنون النثر في آثار لسان الدين ابن الخطيب**، ج١، ص٤٦٧.

أخباره، ويجرد باباً في إعظامه[1]، فهي علاقة قائمة على التقدير والإعجاب بجهوده العلمية وسيرته العملية وسلوكه الأخلاقي الرفيع "وَلَقَدْ نَزَلْتُ مِنْهُ بِالتَّقِيِّ الطَّاهِرِ، وَلَقِيتُ مِنْهُ مَا لقي عَوْفُ بن محلِّم مِنْ ابْنِ طَاهِرٍ[2]، وَرَأَيْتُ نَارَ مَكَارِمِهِ تَتَأَلَّقُ، وَبِتُّ كَأَنَّمَا عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلِّق"[3]، إضافة إلى المكانة الرفيعة التي يحتلها ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ في مختلف فروع الثقافة الأندلسية التي كانت شائعة في عصره: الأدب واللغة والنحو والعروض، والفقه وعلم الهيئة، والفلسفة والمنطق، وغير ذلك، حيث يقول:" وَلَمَّا كَانَ الفَقِيْهُ الأَجَلُّ، أَبُوْ مُحَمَّد عَبْدُ الله بنُ السِّيْد -أَدَامَ اللهُ عُلُوَّه- كُنْتُ قَدْ أَحْكَمْتُ نَسَقَ أَخْبَارِهِ وَسَرْدَهَا، وَفَوَّقْتُ مُطْرَفَهَا وَبُرْدَهَا، وَأَطْلَعْتُهَا قَمَراً، وَجَعَلْتُهَا سَمَراً، إِذْ هُوَ أَزْخَرُ عُلَمَائِنَا بَحْراً، وَأَوْسَعُهُمْ نَحْراً، وَأَحْسَنُهُم خَوَاطِرَ، وَأَسْكَبُهُمْ مَوَاطِرَ، وَأَسْيَرُهُمْ أَمْثَالاً، وَأَعْدَمُهُمْ مِثَالاً، وَأَصْدَقُهُمْ لِسَاناً، وَأَعَمُّهُمْ إِحْسَاناً، وَأَرْفَعُهُمْ رَايَةً، وَأَبْعَدُهُمْ غَايَةً، وَمَحَاسِنُهُ أَعْذَبُ جِمَاماً، وَأَصْفَى غَمَاماً، وَأَظْهَرُ إِعْجَازاً، وَأَحْسَنُ صُدُوْراً وَأَعْجَازاً -رَأَيْتُ أَنْ أُفْرِدَ كِتَاباً فِيْ أَخْبَارِهِ، وَأُجَرِّدَ بَاباً فِيْ إِعْظَامِهِ وَإِكْبَارِهِ". فَقَدْ طَبَّقَ الأَرْضَ عِلْماً، وَمَلأَهَا ذَكَاءً وَفَهْماً.إِنَّهُ ضَارِبُ قِدَاحِ العُلُوْمِ وَمُجِيْلُهَا، وَغُرَّةُ أَيَّامِنَا البَهِيْمَةِ وَتَحْجِيلُهَا"[4].

٣/٢ مصادره

لقد قارن الحجاري بين ابن بسام وابن خاقان، فوصف الأول بأنه أكثر تقييداً، وعلماً مفيداً، حيث يقول:" وهو(الفتح بن خاقان) وأبو الحسن ابن بسام الشنتمري مؤلف الذخيرة فارسا هذا الأوان، وكلاهما قس وسحبان، والتفضيل بينهما عسير، إلا أن ابن بسام أكثر تقييداً، وعلماً مفيداً، وإطناباً في الأخبار، وإمتاعاً للأسماع والأبصار، والفتح أقدر على البلاغة من غير تكلف، وكلامه أكثر تعلقاً وتعشقاً بالأنفس"[5]. وهذا وصف على إيجازه يصدق على ما كتب الفتح؛ لأنه كان مهتماً بإيراد النوادر والنماذج الشعرية وليس بتقييد الروايات وتحقيقها.

والواضح أن ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ تجمع في ثناياها أخبار الأنس والشراب وإيراد الأشعار في هذه الموضوعات، من غير اهتمام بالجزئيات، ومع ذلك فإن الفتح بن خاقان كان يشير في ثنايا كتيبه إلى بعض هذه المصادر التي اعتمد عليها في مؤلفه، وتتمثل في:

---

(١) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٣و.

(٢) يُشير إلى منزلة عَوف بن مُحلِّم الشيباني عند عبد الله طاهر بن الحسين، والي خراسان للمأمون، وكان من المختصين به، المقربين إليه، انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، المعارف، حققه وقدم له ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩، ص١٠٠.

(٣) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٤ و.

(٤) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٢ ظ-٣ و.

(٥) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٢٥٩-٢٦٠.

١ - المكاتبة، فقد كان من عادة الفتح بن خاقان أن يبعث إلى ملوك الأندلس ووزرائها وأعيانها من أهل الأدب والشعر والبلاغة رسائل يطلب فيها منهم أن يرسلوا إليه أفضل ما نظموا أو كتبوا[١]. وفي القلائد أكثر من موقف يؤيد ذلك، فمن ذلك ما كتبه إلى ابن أبي الخصال[٢] يطلب فيه شيئاً من أدبه ليثبته في القلائد، وما كتبه إلى أبي محمد عبدالله بن سماك[٣]؛ وكان الفتح بن خاقان قد كاتب ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ عندما شرع بتأليف كتاب القلائد يعرض عليه بعضاً مما كتب من أجزاء كتاب قلائد العقيان، فرد عليه ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ برقعة يمتدح فيها أدبه ويثنى عليه[٤]. ويظهر أن الفتح كان قد راسل ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ قبل ذلك يسترفده بعض شعره ونثره، فزوده ببعض من إنتاجه، أورد بعضاً منه في القلائد، والآخر للكتاب الذي كان يرغب في تأليفه الذي اختار منه ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ المفردة.

٢ - كتاب الذخيرة لابن بسام الشنتريني، إذ يظهر أن بعض ألفاظ ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ المفردة كألفاظ ترجمته في الذخيرة[٥]، لأن هذا الذي أورده ابن خاقان من أن:" شَلْب[٦] بيضتُهُ، وَمِنْهَا كَانَت حَرَكَةُ أَبِيْهِ وَنَهْضَتُهُ، وَفِيْهَا كَانَ قَرَارُهُمْ، وَمِنْهَا نَمَّ آسُهُمْ وَعَرَارُهُمْ، وَنُسِبَ إِلَى بَطَلْيُوس، لِمَوْلِدِهِ بِهَا، وَمِنْ حَيْثُ كَانَ؛ فَقَدْ طَبَّقَ الأَرْضَ عِلْماً، وَمَلأَهَا ذَكَاءً وَفَهْماً[٧]. هو بعينه في الذخيرة من غير فرق كبير، حيث يقول ابن بسام:" وَشِلْبُ بيضتُهُ، وَمِنْهَا كَانَت حَرَكَتُهُ، وَنُسِبَ إِلَى

(١) انظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ١٩٩٣، ج٥، ص٢١٦٥.

(٢) انظر: الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان**، ج٢، ص٥٢٢. وابن أبي الخصال هو: أبو عبدالله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي (ت٥٤٠هـ/١١٤٦م)، كان وزيراً كاتباً، متفنناً في العلوم، مستبحراً في الآداب واللغات، عالماً بالأخبار، وزر للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، وكتب عنه رسائل كثيرة، وله تصانيف كثيرة، انظر ترجمته في: الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان**، ج٢، ص٥١٨-٥٣٨؛ ابن بسام، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨-١٩٧٩، ق٣، م٢، ص ٧٨٤-٨٠٩؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٦٦.

(٣) الفتح ابن خاقان، **قلائد العقيان**، ج٣، ص٦٤٣-٦٤٤؛ وابن سماك هو أبو محمد عبدالله بن أحمد بن سماك، من أهل غرناطة، قعد لتدريس الفقه والمناظرة على أبي علي الغساني، وكان الفتح بن خاقان قد لقي ابن سماك في غرناطة، واستفاد من أدبه، وكان كثيراً ما يجالسه ويأخذ عنه. وقد توفي سنة ٥٤٠هـ، وهو ابن أربع وثمانين سنة. انظر: الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان**، ج٤، ص٦٤١-٦٦٤٥؛ ابن الأبّار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢١٢؛ التكملة، ج٢، ص٨٢٧؛ المقري، **نفح الطيب**، ج٣، ص٣١٤-٣١٥.

(٤) الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، ج٤، ص٧١٣-٧١٤.

(٥) انظر: ابن بسام، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨-١٩٧٩، ق٣، م٢، ص٨٩٠-٨٩٢.

(٦) شِلْب: (Silves): مدينة تقع غربي الأندلس، كانت قاعدة ولاية أشكونية. انظر: الحميري، محمد بن عبدالمنعم (القرن ٦هـ/١٢م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، حققه إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤، ص ٤٣٢؛ بني ياسين، **بلدان الأندلس**، ص٣٥٨.

(٧) الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان**، ج٤، ص ٧٠٨.

بَطَلْيوس لِتَردُّدِه بها، ولِمَوْلِدِه في تُرْبها، وَمِنْ حَيْثُ كَانَ؛ فقد طَبَّقَ الأَرْضَ رِفْعَةَ ذِكْرٍ، وسَبَقَ أَهْلَهَا بِكُلِّ نَزْعَةِ فِكْرٍ، وقَدْ أَثْبَتُّ مِنْ مَحَاسِنِهِ ما يبهرُ الألبابَ ويسحرُ، ويحسدُهُ الوسْمِي المبتكر"[١]، غير أنه في الترجمة ذكر أبياتاً لم يذكرها ابن بسام، فظهر من مقتضى ذلك إنما زاد على الذخيرة، في الأخبار والأشعار، وأمّا ما اتفقا عليه فلفظهما فيه واحد. وأغلب الظن أن هذه الأخبار مأخوذة من متن الذخيرة، وإن كان يحمل قسمات ابن خاقان وأسلوبه، فقد كان لا يحفل لشيء، حتى لقد نقل من الذخيرة فصولاً كاملة دون أن يشير إلى صاحبها، مما جعل ابن بسام يشكوه إلى القاضي.[٢]

٣ - المصادر الشفوية، وهي تتعلق بالأحداث التي لم يشاهدها الفتح بن خاقان وبالأشعار التي سمعها من ابْن السَّيِّد البَطَلْيَوْسِيّ ، وهي على جانب كبير من الأهمية، وخاصة فيما يتعلق بمجالس اللهو، فقد سجل الفتح الأشعار التي سمعها من ابْن السَّيِّد البَطَلْيَوْسِيّ ، ففي ترجمة ابْن السَّيِّد البَطَلْيَوْسِيّ التي أوردها في القلائد يذكر الفتح بن خاقان أن ابْن السَّيِّد البَطَلْيَوْسِيّ أخبره أَنَّهُ حَضَرَ مَعَ المَأْمُون بنِ ذِيْ النُّوْنِ[٣] بِطُلَيْطِلَةِ في مَجْلِسِ النَّاعُوْرَةِ بالمُنْيَةِ التي تَطْمَحُ إليها المُنَى..."[٤]، وكان قد أورد هذا الخبر في ترجمته المفردة، مع اختلاف يسير في الصياغة، حيث يقول:" فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ حَضَرَ مَعَ القَادِرِ بِاللهِ بنِ ذِيْ النُّوْنِ بِمَجْلِسِ النَّاعُوْرَةِ بِطُلَيْطِلَةِ، فِيْ المُنْيَةِ المُتَنَاهِيَةِ الْبَهَاءِ والإشْرَاقِ..." [٥].

٤ - المشاهدة: وهي مصدر مهم عند الفتح بن خاقان، وأكثرها يتعلق بالأحداث التي وقعت بينه وبين ابْن السَّيِّد البَطَلْيَوْسِيّ ، وبخاصة ما يتعلق بعلم ابْن السَّيِّد البَطَلْيَوْسِيّ وسلوكه، وهو يصرح بهذا المصدر في ثنايا الترجمة، ونحن نعلم شدة اتصاله به آنذاك للدراسة عليه والسماع منه؛ فقد ذكر ابن الأبَّار أنه:" سمع من أبي علي محمد البَطَلْيَوْسِيّ كتاب الانتصار من تأليفه سنة ست عشرة وخمسمائة"[٦]، لعل ذلك كان عندما حل الفتح بن خاقان يابرة [٧]، وأنزله واليها بقصرها، لأن يابرة

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩١.

(٢) انظر: بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٢٩٠.

(٣) هو أبو زكريا المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون، والقادر لقبه، وكان ملكاً على طليطلة عاصمة بني ذي النون، وكان سيء الرأي، مشغولاً بالملاذ، ومصادرة أموال الرعية، ومهادنة العدو، فاضطربت أحوال الإمارة في عهده، وانتشرت الفتن، مما اضطره إلى الفرار فالتجأ إلى ألفونسو للاستعانة به لإعادة ملكه فأغاثه، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٤٧؛ المقّري، أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق سعيد أحمد أعراب وعبد السلام الهراس، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، (د.ت)، ، ص؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٥.

(٤) الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان**، ج٤، ص٧١٤-٧١٥.

(٥) **ترجمة ابْن السَّيِّد البَطَلْيوسي**، ص٤ ظ.

(٦) ابن الأبّار، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، ص ٣١٣.

(٧) الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان**، م٢، ص ٤١٨. ويابرة (Evora): بلدة تقع غرب الأندلس، وهي اليوم ضمن مناطق جنوب البرتغال، وتبعد عن العاصمة لشبونة مسافة مئة وسبعة عشر كم، وكانت تابعة في التقسيم الإداري زمن ملوك الطوائف لبطليوس التي كانت عاصمة لبني الأفطس. انظر: ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص ٣٤٧؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص٤٢٤؛ يوسف أحمد بني ياسين، **بلدان الأندلس، في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية**، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ص٥١٤

كانت تابعة لبطليوس؛ لذلك دون في الترجمة مشاهداته وانطباعاته عنه.ومن ذلك قوله:" الرفيع "وَلَقَدْ نَزَلْتُ مِنْهُ بِالتَّقِيِّ الطَّاهِرِ، وَلَقِيْتُ مِنْهُ مَا لقي عَوْفُ بن محلِّمٍ مِنْ ابْنِ طَاهِرٍ[1]، وَرَأَيْتُ نَارَ مَكَارِمِهِ تَتَأَلَّقُ، وَبِتُّ كَأَنَّمَا عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ"[2]. ولا شك أنه كان قد حفظ كثيراً من الأخبار والحكايات والحوادث التاريخية عند دراسته على شيخه، فأوردها في ترجمته له.

٥ - كتب ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيِّ ، فقد عني الفتح بن خاقان بذكر ما وقع له من مؤلفات ابْـن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيِّ ، وإبداء رأيه فيها، مما يدل على اطلاعه عليها، حيث يقول:"وَلَهُ تَحَقُّقٌ بِالعُلُوْمِ الحَدِيْثَةِ وَالقَدِيْمَةِ، وَتَصَرُّفٌ فِيْ طُرُقِهَا المُسْتَقِيْمَةِ، مَا خَرَجَ بِمَعْرِفَتِهَا عَنْ مِضْمَارِ شَرْعٍ، وَلا نَكَّبَ عَنْ أَصْلٍ لِلسُّنَّةِ وَلا فَرْعٍ"[3]، كما يشير إلى عناية ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيِّ بشرح الكتب المشرقية المختلفة في فنون متنوعة، حيث يقول: "وَتَوَالِيْفُهُ فِيْ الشُّرُوْحَاتِ وَغَيْرِهَا صُنُوْفٌ، وَهِيَ اليَوْمَ فِـيْ آذَانِ الأَيَّـامِ شُنُوْفٌ. فَمِنْهَا (المُقْتَبَسُ، فِيْ شَرْحِ مُوَطَّأ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ)[4]، و(الاقْتِضَابُ فِيْ شَرْحِ أَدَبِ الكُتَّـابِ)[5]. وكِتَابُ (التَّنْبِيْهِ عَلَى السَّبَبِ المُوْجِبِ لاخْتِلافِ العُلَمَاءِ، فِيْ اعْتِقَادَاتِهِمْ وَآرَائِهِمْ، وَسَـائِرِ أَغْرَاضِـهِمْ وَأَنْحَائِهِمْ)[6]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ هَذَا المَوْضُوْعُ وَيُخْفِيْهِ، وَيُوَقِّفُ عَلَـى تَفْـسِيْرِهِ فِيْـهِ"[7]. ويظهر أن الفتح بن خاقان يشير بذلك إلى شروحات أخرى لابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيِّ ، منها على سبيل المثال: "شرح سقط الزند"[8]، و"شرح ديوان المتنبي"[9]، وغيرها.

٦ - اطلاعه على المصادر الأندلسية التي تناولت أحداث عصر الطوائف وعصر المرابطين، فقد

---

(١) يُشير إلى منزلة عَوف بن مُحلِّم الشَّيباني عند عبد الله طاهر بن الحسين، والي خراسان للمأمون، وكان من المختصين به، المقربين إليه، انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص١٠٠.

(٢) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٤ و.

(٣) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٤ و.

(٤) ذكر هذا الكتاب في ابن بشكوال، الصلة؛ القفطي، إنباه الرواة؛ السيوطي، بغية الوعاة.

(٥) حقق هذا الكتاب الدكتور حامد عبدالمجيد بالاشتراك مع الأستاذ مصطفى السقا، في ثلاثة أجزاء، وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٩٦.

(٦) في قلائد العقيان: "التَّنبيه المُستولي على كُلِّ أمرٍ من الدِّيانة نبيه"، وبعده "وإثبات النُّبوَّات وتحقيق الشرائع والـدِّيانات"، ج٤، ص٧٠٩. وطبع هذا الكتاب باسم الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، وقام على تحقيقه الشيخ عمر المحمصاني الأزهري، وطبع بمطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣١٩هـ.

(٧) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٤ و.

(٨) ضم هذا الشرح مع شرحين آخرين للسقط، هما شرح التبريزي وشرح الخوارزمي، وصدر الجميع في كتاب من خمسة أقسام باسم" شروح سقط الزند"، قامت على تحقيقه لجنة إحياء آثار أبي العلاء، المكونة من مصطفى السقا وعبـدالرحيم محمود وعبدالسلام محمد هارون، وهو من مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب، والمجلس الأعلى للثقافـة (نـسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٤٦).

(٩) نشر هذا الشرح بتحقيق حامد عبدالمجيد ومصطفى السقا، وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٩٦.

حرص الفتح بن خاقان على التقديم لبعض الأشعار التي أوردها بمقدمات تاريخية تتناول بعض الأحداث التاريخية التي تتعلق بعصر أمراء الطوائف، وعصر المرابطين، غير أنه لم يذكر المصادر التاريخية التي استقى منها هذه المعلومات، ولا غرو في ذلك إذ إنه عُرف بعدم الاهتمام بالإشارة إلى المصادر التي نقل عنها[١].

٤/٢ زمن تأليفه:

لم يحدثنا الفتح بن خاقان عن زمن تأليفه وأين ألفه، غير أن بعض الأخبار التي سجلّها في مؤلفه تسعفنا في تحديد زمن تأليف الكتاب، فمن الواضح أن الفتح ألفه بعد كتابيه القلائد والمطمح؛ فقد كان قد فرغ من تأليف كتاب القلائد الذي استغرق ما يقارب العشرين عاماً، وأخرجه بصورة نهائية بعد سنة ٥١٧هـ/١١١١م. كما وضع كتاب مطمح الأنفس بعد تأليف القلائد ليكون استكمالاً له وذيلاً عليه [٢].كما أنه من الواضح أن الفتح بن خاقان كان قد وضع هذا الكتاب في أواخر حياة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ، بعد أن كان قد انصرف عن حياة القصور، وتحول عن خدمة الملوك، فاستقر في بلنسية، حيث جلس لإقراء النحو، وقصده طلبة العلم للتلقي عنه، وفيها كانت وفاته سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م، يقول الفتح بن خاقان:" وخَدَمَ الرِّيَاسَاتِ، وَعَلِمَ طُرُقَ السِّيَاسَاتِ، وَنَفَقَ وكَسَدَ، وَوَقَفَ وَتَوَسَّدَ. وَهُوَ الْيَوْمَ شَيْخُ المَعَارِفِ وَإِمَامُهَا، وَمَنْ فِيْ يَدِهِ مَقُودُهَا وَزِمَامُهَا"[٣].

١/٣ بنية الازدواج والتوازي في الترجمة:

لقد أطنب الباحثون القدامى والمحدثون الذين عرضوا للفتح بن خاقان في إطراء أسلوبه الأدبي الرفيع، فقد تحدث العماد الأصفهاني عن أدب الفتح ومدحه وأشاد بأسلوبه، بقوله: " غزير ركية البيان، كأنما يغرف من بحر زاخر، أو يقطف من زهر ناضر، حسن صياغة، وسعة براعة، وله تواليف تشهد له بدراية..."[٤]. كما عبر لسان الدين بن الخطيب عن إعجابه بأسلوب الفتح بن خاقان بقوله:" كان آية من آيات البلاغة، لا يشق غباره، ولا يدرك شأوه، عذب الألفاظ ناصعها، أصيل المعاني وثيقها، لعوباً بأطراف الكلام، معجزاً في باب الحلي والصفات"[٥].

لقد تميز أسلوب الفتح بن خاقان في هذا المؤلف الصغير كما تميز في مؤلفيه الآخرين بأنه يجمع بين موسيقى الشعر، وفصاحة النثر، وبلاغة الصياغة اللفظية الفنية، والعبارة الجزلة الرنانة

---

(١) انظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٩٨.

(٢) انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص٢١٦٥.

(٣) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٣ ظ-٤ و.

(٤) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج٣، ص٥٣٨.

(٥) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص٢٤٩.

ذات الإيقاع الجميل، وإلى ذلك يشير المقّري في تقديمه هذا الكتاب بقوله:" ورأيت تأليفاً بديعاً للفتح صاحب القلائد والمطمح، ضمنه التعريف بهذا الإمام: ابْن السِّيْد خاصَّة، وها أنا أورده بجملته، لغرابته وفصاحته، وبلاغته..."[١]. ولعل ذلك يعود إلى أنه سعى في تراجمه عامة إلى إيجاد التوازن الخلاّق بين متطلبات المعنى وجماليات التعبير من خلال توظيف الظواهر البلاغية والألوان البديعية المختلفة مثل: المقابلة والمماثلة، والطباق والجناس والتقسيم والسجع والازدواج وغيرها[٢]، في صياغة العبارة النثرية في قوالب شعرية؛ أي في إنتاج نوع من الإيقاعية التكرارية في نثره الذي أصبح من مقومات خطابه الأدبي، وقد تمثل ذلك في مظهرين هما: الإيقاع الداخلي والإيقاع الخارجي:

أولاً - الإيقاع الداخلي الذي يتحقق من خلال التوازي[٣] الذي يشمل جميع أشكال التكافؤ والتناظر الكلي أو الجزئي بين عناصر العبارة التي بناها على الازدواج والأسجاع، وذلك على المستويات الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية والدلالية وغيرها[٤]. لقد أجاد ابن خاقان في أساليب السجع إجادة تنقل الكلام المنثور إلى مرتبة الشعر المتعمل، فيستولي على القراء، لبراعته فيه، ولأثره الشخصي في هذه الصناعة، وقدرته على الاسترسال في ذلك، مع ما فيه من كثرة المترادفات[٥]

وقد سعى الفتح بن خاقان إلى أساليب مختلفة تعمل على تكثيف الإيقاع في ترجمته، من حيث حجم الجمل أو الفواصل وعدد مقاطعها وعناصرها المكونة لها، ومن حيث ائتلافها بعضها مع بعض في الطول والقصر. لقد جاءت الوحدة الإيقاعية في ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ مبنية

---

(١) المقّري، أزهار الرياض، ج٣، ص١٠٣.

(٢) حول هذه الألوان انظر: أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧، ج١-٣، صفحات مختلفة.

(٣) حول مفهوم التوازي انظر: محمد العمري، **البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها**، ط١، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩، ص٤٦١-٤٦٥؛ رومان ياكبسون، **قضايا الشعرية**، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، ١٩٨٨، ص١٠٢-١٠٩؛ رومان ياكبسون، **أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب**، ترجمة فالح صدام الإمارة، وعبدالجبار محمد علي، مراجعة مرتضى باقر، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠، ص١٠٢-١١٠. نورثرب فراي، **تشريح النقد: محاولات أربع**، ترجمة محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١، ص٣٤١-٣٤٩.

(٤) انظر: ياكبسون، **قضايا الشعرية**، ص٣٣، ١٠٦؛ ياكبسون، **أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب**، ص١٠٥؛ موسى ربابعة، "**الهندسة القصيدة: قراءة في ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء**"، في قراءة النص الشعري الجاهلي، مؤسسة حمادة ودار الكندي، إربد، ١٩٩٨، ص١٢٨-١٢٩؛ سامح الرواشدة، "**التوازي في شعر يوسف الصايغ وأثره في الإيقاع والدلالة**"، في أبحاث اليرموك: سلسلة الآداب واللغويات، م١٦، ع٢، ١٩٩٨"،ص١٠-١١.

(٥) أحمد ضيف، **بلاغة العرب في الأندلس**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ١٩٩٨، ص٢٣٨.

على التركيب المسجوع المكوّن في الغالب من الزوج؛ أي انقسام القول إلى جزأين من جهة واقترانهما بفاصلة موحدة من جهة أخرى، بحيث يشكل جزء العبارة الأول علاقة توازن مع الجزء الآخر في الجملة نفسها، أو المكوّن من عدة فوصل وأجزاء. وقد أتت هذه الفواصل على أربعة أوجه[١]:

أولها الفصول/الأزواج المتساوية الأجزاء المتفقة اتفاقاً تاماً، من حيث العدد والوزن والمعنى والتركيب ويتمثل هذا النمط في وجود اتفاق كامل بين فقرتي الزوج؛ أي تناظر ظاهر في المعاني والإيقاعات والبنى النحوية والصيغ الصرفية، ترفده الفاصلة بترديدها لجرس حرف واحد أو أكثر من حروفها المتجانسة، ومن الأمثلة على ذلك قوله واصفاً أيام بني عبد العزيز: "نُظِمَتْ فِيْهُمُ المَدَائِحُ، وَعَظُمَتْ مِنْهُمُ المَنَائِحُ، وَنُفِقَتْ عِنْدَهُمْ أَقْدَارُ الأَعْلَامِ، وَتَدَفَّقَتْ لَدَيْهِم بِحَارُ الكَلَامِ"[٢]. ويعد هذا النوع أعدل أشكال الجمل المسجوعة؛ ذلك أن هذه الجملة قائمة على التعادل والتقابل في الحروف والحركات والبنى النحوية، والصيغ الصرفية، والعدد والتكرار لوحدات منتظمة تولّد إيقاعاً داخلياً بين الصيغ والكلمات والدلالات، وهو ما يحقق قيمة فنية عالية، وهذا النوع من إئتلاف الموازنة يخضع لقاعدة بسيطة قائمة على التساوي العددي، وتماثل الكلمات في الوزن، وتقابل محلها في الجزأين؛ أي أن الفتح بن خاقان يتبع في بناء جمله وترتيب كلماتها قاعدة الترديد أو الترجيع الدوري القاضية بوضع الألفاظ المتوازنة في مرتبة واحدة في كلتا الفقرتين المسجوعتين .

ويلحظ الناظر في هذا اللون من التركيب أن العبارة النثرية تقترب من العبارة الشعرية لأن الفتح بن خاقان يزاوج فيها بين جملتين، ويستخدم السجع في الفاصلتين، فتكون الجملة النثرية شبيهة بشطري البيت الشعري، وتكون الفاصلة العلامة الصوتية المميزة للزوج والحد الفاصل بينهما وبين غيرها، كما يظهر، على سبيل المثال، في العبارة التالية: " وَالجَوّ قَدْ عَنْبَرَتْهُ أَنْوَاؤُهُ، وَالرَّوْضُ قَدْ بَلَّلَتْهُ أَنْدَاؤُهُ"[٣].

أما النوع الثاني من الأبنية فهو الذي يتمثل في الأزواج أو الفواصل الثلاث المسجوعة التي يتقدمها تركيب من النثر المرسل يكون لها بمثابة المستند عليه، أو القاسم المشترك، ويقوم على

---

(١) لمزيد من التفصيل حول الفاصلة وخصائصها، انظر: محمد المسعدي، **الإيقاع في السجع العربي: محاولة تحليل وتحديد**، نشر وتوزيع مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله ،تونس، ١٩٩٦، ص٧٠-٩٥؛ محمد الحسناوي، **الفاصلة في القرآن**، دار الأصيل، حلب، ١٩٨٦، ص ١٦٩-١٧٣.

(٢) **ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيُوسي**، ص١ظ.

(٣) **ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيُوسي**، ص٤ظ.

وجود اتفاق في الوزن بين بعض كلمات الفقرة الأولى وكامل ألفاظ الفقرة الثانية من الزوج، أو الثانية والثالثة. ومن الأمثلة على ذلك قوله: " وَالأُسْدُ قَدْ فَغَرَتْ أَفْوَاهَهَا، وَمَجَّتْ أَمْوَاهَهَا"[(١)]. ويلاحظ هنا أنه لا وجود للتوازي إلا بين الفقرات المزدوجة " فَغَرَتْ أَفْوَاهَهَا" و" مَجَّتْ أَمْوَاهَهَا"، أما جملة القاسم المشترك المتقدمة عليها فهي:" وَالأُسْدُ قَدْ". ومن ذلك أيضا قوله في ثلاث فقرات:" كَانُوا بِدُوْرَ غَيَاهِبِهِ، وَصُدُوْرَ مَرَاتِبِهِ، وَبُحُوْرَ مَوَاهِبِهِ "[(٢)]؛ فقد وازن بين الجمل الثلاث:" بِدُوْرَ غَيَاهِبِهِ"، و" وَصُدُوْرَ مَرَاتِبِهِ"، و "وَبُحُوْرَ مَوَاهِبِهِ"، وجعل جملة القاسم المشترك بينها " كَانُوا".

أما النوع الثالث من الأبنية فهو الذي يتمثل بالجمل غير المتساوية الأجزاء، التي يحصل فيها التوازن بين بعض عناصر الأزواج؛ ذلك أن النثر المرسل الذي يتخلل الأزواج يقود إلى غياب التوازي؛ أي أن التوازن كثيراً ما ينحصر في لفظة الفاصلة، ولا يعمد الفتح بن خاقان إلى هذا النوع من الأزواج إلا لضرورة المعنى في أغلب الحالات، وهذا النوع من الجمل على قلته هو الأقل قيمة والأقل حبكاً للإيقاع، ومن الأمثلة على هذا النوع قوله:" وَالزَّهْرُ عَبِقٌ، وَعَلَى مَاءِ النَّهْرِ مُصْطَبِحٌ وَمُغْتَبِقٌ "[(٣)]، فنحن نلاحظ أن الاتفاق هنا لا يشمل سوى أجزاء من كلمة واحدة من كل جزء " عَبِقٌ، وَمُغْتَبِقٌ ". إن هذا النمط من الأزواج لا يتوفر فيه الحد الأدنى من شروط التناظر والتكافؤ اللازم للإيقاع، فجاءت العبارة بغياب هذه العناصر نثراً مرسلاً مزيداً عليه الفاصلة لاغير.

أما النوع الرابع من الأبنية فهو الذي يعمد فيه الفتح بن خاقان إلى استخدام السجع الممتد، وهو الذي تبدو فيه الأنغام متواصلة، والفواصل مستمرة على وتيرة واحدة، ومن ذلك قوله: " فَرَّقَتْ جُمُوْعَهُمْ، وَأَخْلَتْ رُبُوْعَهُمْ، وَنَثَرَتْ سِلْكَهُمْ، وَمَزَّقَتْ مُلْكَهُمْ "[(٤)]، إن في هذا المقطع أربع سجعات تنتهي كلها بما يجمعها من فاصلة واحدة تتكون من حرفين هما الهاء المضمومة والميم الساكنة، إن تكرار صيغة "هُمْ" في فاصلة الأجزاء تُنْبِئُ برغبة الفتح بن خاقان في ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي، وتأكيد الفكرة التي يريدها.

كما عمد الفتح بن خاقان إلى تكثيف الإيقاع الداخلي في ترجمته من خلال استخدام الأسلوب المغصن؛ الذي يتميز بكثرة الفروع والأغصان المتقابلة داخل التركيب[(٥)]، ويقوم على التركيز على الجمل المترابطة ترابطا ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً أو سداسياً أو سباعياً؛ أي مقابلة

---

(١) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٤ظ.

(٢) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص١٥ظ.

(٣) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٤ظ.

(٤) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص١٥ظ.

(٥) حول هذه الظاهرة انظر: الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبدالغفور(القرن ٦هـ/١٢م)، إحكام صنعة الكلام، حققه وقدم له محمد رضوان الداية، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥، ص١٤٥-١٤٨.

سجعتين بسجعتين، كل سجعة موافقة لصاحبتها، وقد يقابل في هذا الأسلوب ثلاثاً بثلاث، مثل قوله: "نُظِمَتْ فِيهِمْ المَدَائِحُ، وَعَظُمَتْ مِنْهُمْ المَنَائِح "[١]، وأربع بأربع، مثل قوله:" وَزَفَّتْ إِلَيْــهِ المَــسَرَّاتُ أَبْكَارَهَا، وَفَارَقَتْ إِلَيْهِ الطَّيْرُ أَوْكَارَهَا"[٢]، وخمس بخمس... وست بست، مثـل قولــه:" والنفــوس تتشوف إليه تشوف الضال للمرشد، والآذان تصيخ إليه إصاخة الناشد للمنشد"[٣]. وما إلى ذلــك؛ أي تقوم هذه التراكيب على العناية بالتنويعات الشكلية التي تؤثر في إنتاج المعنى. فقد تـضمن الجــزء الأول من كل زوج عدداً من الكلمات، وقد جاءت كلمات الجزء الثاني المقابلة لها على النسق نفسه، وهو أمر ضروري لانتظام سلسلة الإيقاع، ويمثل هذا النسق نمطاً من التنظيم المتماسك.

ثانياً - الإيقاع الخارجي

لقد اهتم الفتح بن خاقان بالبنى الإيقاعية الخارجية اهتماماً بالغاً، وذلك من خــلال الــسجعة (الفاصلة) التي تعتمد على التردد الصوتي في نهاية أجزاء الجمل بحرف محدد؛ إذ هــو " تواطــؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"[٤]، فتكرار الحرف في نهاية الفواصل هو الــذي ينــتج بنيــة السجع للتأثير في المتلقي وتقوية استمالته إلى مضمون عبارته لحمله على تقبل مضامينها، وتــوفير عدد من وجوه التحسين والزخرفة[٥]، وإلى ذلك يشير الحجاري في وصفه أسلوب الفتح بن خاقــان بأنه:" أقدر على البلاغة من غير تكلف، وكلامه أليق بالنفس"[٦]، فالفاصلة "ذات أهمية بالغــة فــي نسج الإيقاع لأنهما معاً العلامة الصوتية المميزة للزوج والحد الفاصل بين فقرتيــه، وبينــه وبــين غيره"[٧]، وهي كالقافية في الشعر من حيث الأهمية[٨].

ولقد حُلِّي أسلوب الفتح بن خاقان بكثرة الفواصل وتتعدد أنماطها من حيث البساطة أو تعقيد

(١) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص١٥ ظ.

(٢) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص١٧و.

(٣) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٢ ظ.

(٤) انظر: قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق طه حسين، القاهرة، ١٩٣٣، ص٩٣؛ المسعدي، الإيقاع في السجع العربــي، ص٦١.

(٥) حول هذه الظاهرة الفنية انظر: محمد المسعدي، الإيقاع في السجع العربي: محاولة تحليل وتحديــد، نــشر وتوزيــع مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله ، تونس، ١٩٩٦، ص٤٥؛ صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية من القرن الثالــث إلــى القرن الخامس للهجرة (مشروع قراءة إنشائية)، منشورات كلية الآداب بمنوبــة، جامعــة منوبــة، تــونس، ٢٠٠١، ص٣١٠-٣١١.

(٦) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٢٦٠.

(٧) انظر: قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق طه حسين، القاهرة، ١٩٣٣، ص٩٣؛ المسعدي، الإيقاع في السجع العربــي، ص٦١؛ فراي، تشريح النقد، ص٣٤٧.

(٨) المسعدي، الإيقاع في السجع العربي، ص٦١.

التركيب على النحو الذي تعددت فيه القافية في الشعر، ومن الأمثلة على الفاصلة ذات الحرف الواحد "الحاء" في قوله": حَتَّى خَاضَ هَوْلاً لَمْ يَسْرِ فِيْهِ إِلَى صُبُحٍ، وَسَلَكَ شِعْباً لَمْ يَنْشَ مِنْهُ بِرِيْحٍ"[(١)].

وهناك الفاصلة ذات الحرفين، وهي أكثر تواتراً في جمله، ومن أمثلتها الجيم والياء والدال التي جاءت في قوله": فَنَظَمَ الدُّرَّ بِأَبْهَى جِيْدٍ، وَقَلَّدَ الفَخْرَ أَعْلَى مُجِيْدٍ [(٢)]، والفواصل المركبة من ثلاثة حروف فأكثر، ومن ذلك الفاصلة ذات الحروف الثلاثة التي وردت في قوله: وَقَدْ كَانَ فَرَّ مِنْ ابْنِ رَزِيْنٍ[(٣)]، فِرَارَ السُّرُوْرِ مِنْ نَفْسِ الْحَزِيْنِ" [(٤)]، ومن ذلك أيضاً الفاصلة المكونة من ستة حروف، وهي: الألف اللام والعين والذال والألف والباء. التي وردت في قوله": وَرَضِيَ بِمَا سَامَهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَبَذَلَ نَفْسَهُ فِيْ رَشْفَةٍ مِنْ ثَنَايَاهُ الْعِذَابِ"[(٥)].

٢/٣ بناء الترجمة ومادتها:

نهج الفتح بن خاقان في ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيِّ نهج الترجمة في كتاب القلائد، وإلى ذلك يشير المقَّري بقوله ": من تأليف الفتح تأليف صغير في ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيِّ نحو الثلاثة كراريس على منهاج القلائد"[(٦)]. وتدل المقارنة بين ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيِّ المفردة وترجمته في قلائد العقيان على اتفاقهما في طريقة بناء الترجمة وأسلوبها وكثير من عناصرها، غير أن ترجمته المفردة لابْن السِّيْد البَطَلْيوسي تختلف أو تتميز بعدد من السمات التي تنقص القلائد، وقد جاءت هذه الكراريس الثلاثة قطعة أدبية كان قَدْ أَحْكَم فيها نَسَقَ أَخْبَارِ صاحبها وَسَرْدَهَا[(٧)]، على حد قوله، وعلى الرغم من أن هذه الترجمة ليست مبوبة، فهي تسير على نظام معين في العرض؛ يتمثل في عدم إلقاء الأنموذج الشعري الذي يختاره إلقاءً، بل يدبج له عرضاً بألفاظ قد تستغرق منه أسطراً، يأتي به على غاية من الدقة في صفة هذا الأنموذج وفحواه؛ لذلك كان جانب

---

(١) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص١٠ظ.

(٢) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص١٠و.

(٣) ابن رزين هو: أبو مروان عبدالملك بن رزين بن هذيل حسام الدولة بن خلف بن رزين صاحب السهلة، ولي الحكم بعد أبيه سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، كان شديد الإعجاب بنفسه، متعسفاً على الشعراء، متعسراً بمطلوبهم من العطاء، متسماً بالقسوة والفظاظة ورفعة الهمة، توفي سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م. انظر ترجمته في: قلائد العقيان، ج١، ص١٥٧-١٦٩؛ الذخيرة، ق٣، م١، ص١٠٩؛ الخريدة، ج٢، ص٣٠٨-٣١٢؛ الحلة السيراء، ج٢، ص١٠٨-١١٥؛ المغرب، ج٢، ص٤٢٨.

(٤) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص١٢و.

(٥) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٩ظ.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج٧، ص٣٥.

(٧) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٢ظ.

اللغة والتفنن فيها، هو أظهر خصائص الفتح بن خاقان في ترجمته، فكان يبهرنا بتقديماته قبل كل أنموذج يورده[١].

وقد اشتملت هذه الترجمة على مقدمة وعرض وخاتمة تتآزر لأداء غرض واحد، هو إظهار إبداع ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ . أما المقدمة فبدأها بالبسملة والتحميد والصلاة على كافة الأنبياء، ثم باستهلال اتَّسم بالإيجاز والاختصار الشديد والبراعة حدَّد فيه المكونات الأساسية للمصنَّف، وتحدث عن مؤلفه الضخم وعن سبب تأليفه، واختياره ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ليكون أُنموذجاً مبيناً قدر الكتاب، وهذا الاستهلال مناسب لصلته الوثيقة بموضوع التأليف، وختم مقدمته بقوله:" واللهُ المليُّ بالعَوْنِ، وَالكَفِيْلُ بِالكَلاءَةِ وَالصَّوْنِ، لا رَبَّ غَيْرُه"[٢].

ثم انتقل إلى المتن حيث عرض الفتح الترجمة وهو الموضوع الذي أنشئ من أجله هذا المصنف، فتحدث عن اسم ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ، وأصله، وأثنى عليه، ثم تحدث عن ثقافته ومؤلفاته، وأورد كثيراً من أشعاره وأخباره، وهو الجزء الغالب على هذه الترجمة. كما ضمن الترجمة ترجمات مقتضبة لبعض الأمراء والأعيان من الرؤساء والوزراء والأدباء الذين اتصل بهم ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ، ومن هؤلاء الظَّافِر عَبْد الرَّحْمَن بن عُبَيْد الله بن ذِي النُّوْنِ، والقَادِر بِالله بن ذِيْ النُّوْنِ أمير طُلَيْطِلَة، والمُسْتَعِيْن بالله بن هود أمير سَرَقُسْطَة، وأبو مروان عبدالملك بن رزين صاحب السهلة، والوَزِيْرَ الأَجَلَّ، أبو عَبْدِالْمَلِكِ بن عَبْدِالْعَزِيْز[٣].

وقد أورد في هذه الترجمة اثنتين وثلاثين قصيدة وقطعة ونتفة شملت أغلب الموضوعات التي تناولها شعر ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ [٤]، من مدح وزهد ورثاء وغزل، وإخوانيات، ووصف مجالس الأنس والطبيعة، بما فيها من أزهار ورياض، وتنسجم هذه المختارات الشعرية مع ما عرف عن شخصية الفتح بن خاقان التي تميل إلى اللهو والقصف والجري وراء الملذات، واختيار المرء جزء من نفسه؛ فقد جاء معظم المختارات الشعرية في موضوعات مجالس اللهو والغزل والوصف.وقد اختتم الفتح بن خاقان هذه الترجمة بأن اعتذر عن عدم استكمالها وعدم الإطناب في الحديث عن ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ لكثرة مشاغله وتنقله، يقول:" هذا ما عَاقَ عَنْ ذَلِكَ الدَّهْرُ الَّذِيْ شَغَلَ، وَأَوْغَلَنَا فِيْ شِعَابِ الأَنْكَادِ حَيْثُ أَوْغَلَ"[٥].

(١) انظر: حسين خريوش، "الفتح بن خاقان وكتاب القلائد"، المورد، م٩، ع٣، ١٩٨٠، ص٦٣-٧٢، ص٦٩-٧٠.

(٢) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٣ و.

(٣) انظر: ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٣و، ١٠و؛ ١٢و؛ ١٢ظ، ١٤و.

(٤) لقد خرَّج صاحب أبو جناح معظم شعر ابن السِّيْد البَطَلْيوسي الذي انتهى إلينا، في بحثه المعنون بـ: " ابن السِّيْد البَطَلْيوسي: حياته، منهجه في النحو واللغة، شعره"، مجلة المورد، م٦، ع١، ١٩٧٧، ص٧٩-١١٥.

(٥) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٢٢ ظ.

٤ - آراؤه النقدية

لقد نثر الفتح بن خاقان في مواضع مختلفة من ترجمته شذرات وإشارات تتضمن أحكاماً نقدية ذوقية تأثرية مقتضبة غير مُعلَّلة في الغالب، تتصل ببعض جوانب شعر ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ، ومجالات التجويد فيه، ويمكن تلخيصها في المظاهر التالية:

أولاً - الإبداع في بناء الصورة الشعرية القائمة على التماس اللطيف والغريب، والإكثار من التشبيهات والاستعارات، وقد تجسد ذلك في تعليق الفتح بن خاقان على وصفه جمال فرس، يقول:" ولَهُ يَصِفُ فَرَساً، وَهُوَ ممَّا أَبْدَع فِيْ التَّمْثِيْلِ لَهُ وَالتَّشْبِيْه، وَنَبَّهَ خَاطِرَهُ فِيْهِ أَحْسَنَ تَنْبِيْه، وَخَلَعَ عَلَيْهِ شِيَاتِ لاحِقٍ وَالْوَجِيْه[1]، وَعَمَّهُ بِالمَحَاسِنِ وَتَوَّجَ، وَنَسَبَهُ إِلَى الخَطَّارِ وَأَعْوَج[2]، وهوَ قولُهُ[3]:

وَأَقَبُّ مِنْ آلِ الوَجِيْهِ وَلاحِقٍ ... قَيْدُ الْعُيُوْنِ وَغَايَةُ المُتَمَثِّلِ

ثانياً - الموازنات: لقد ألم الفتح بن خاقان بالشعر العربي المشرقي والأندلسي عامة، ونصوص شعر ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ خاصة، مما منحه فرصة كبيرة ليعقد الموازنة والمقايسة مع أشباهها ونظائرها من الإبداعات المشرقية، ففي حديثه عن إحدى قصائد ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ الغزلية التي مطلعها[4]:

تَأَوَّبَهُ مِنْ هَمِّهِ مَا تَأَوَّبَا ... فَبَاتَ عَلَى جَمْرِ الأَسَى مُتَقَلِّبَا

يقول:" وَقَالَ يَتَغَزَّلُ، وَتَصَرَّفَ فِيْهِ تَصَرُّفَ غَيْلانِ مَي[5]، ووَصَفَ كُلَّ جَوَّاءَ وَحَيٍّ، وَذَكَرَ

(١) لاحق والوجيه: اسمان يطلقان على عدّة جياد، انظر: الأسود الغندجاني، أبو محمد الأعرابي (كان حياً سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، حققه وقدم له محمد علي سلطاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت. ، ص ٢١٠، ٢٥٥.

(٢) الخطّار : فرس مشهور لحنظلة بن عامر النمري، ويسمى فارس الخطار، والأعوج: فرس لبني عقيل. انظر: الأسود الغندجاني، أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، ص ٤٩، ٩٢.

(٣) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوسي، ص٥و.

(٤) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوسي، ص٧ظ.

(٥) غيلان مي: يقصد الشاعر ذا الرمة غيلان بن عقبة بن بُهيس، أحد فحول شعراء الطبقة الثانية في العصر الأموي، وأكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين، امتاز بإجادة التشبيه، وهو أيضاً أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته مَيّ (ميَّة) بنت مقاتل بن طَلَبَة المنقري، وكان كثير التشبيب بها في شعره، فاشتهر بها، توفي سنة ١١٧هـ/٧٣٥م. انظر ترجمته في: ابن سلام الجمحي، محمد (ت٢٣١هـ/٨٤٥م)، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤، ج٢، ص٥٥٨؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج٤، ص١١-١٧.

العِشْقَ، وارْتَادَ الإِبْدَاعَ، حَتَّى عَدَا بِهِ مِصْرُهُ، فَأَجَادَ مَعَانِيَهُ، وَأَشَادَ مَبَانِيَهُ"[١]، وهو هنا يحدد الأسس التي يبنى عليها موازنته وهي جودة المعنى وصدق التجربة وحسن السبك والملائمة بين اللفظ والمعنى، وغير ذلك.

ووازن بين مقطوعة لابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ وأخرى لابن عمار؛ وذلك لاتفاقهما في الرؤية بأن الخمرة تخفف من هموم أهل الزمان، وتستحث خطو الليل وتريح من وطأة الحياة، وتسليهم عما يمرون به من المشكلات والصعوبات التي تعترضهم في حياتهم، يقول :" أَبْدَعَ قَوْلَهُ فِيْ وَصْفِ الرَّاحِ، وَالحَضُّ عَلَى النَّبْذِ للهُمُوْمِ وَالاطِّرَاحِ، بِمُعَاطَاةِ كُؤُوْسِهَا، وَمَوَالاةِ تَأْنِيسِهَا، وَمُعَاقَرَةِ دِنَانِهَا، وَاهْتِصَارِ ثِمَارِ الفُتُوَّةِ وَأَفْنَانِهَا، وَالإِعْرَاضِ عَنِ الأَيَّامِ وَأَنْكَادِهَا، وَالْجَرْيِ فِيْ مَيْدَانِ الصَّبْوَةِ إِلَى أَبْعَدِ آمَادِهَا[٢]:

سُلَّ الهُمُـومَ إِذَا نَبَـا زَمَـنٌ   بِمُدَامَـةٍ صَفْـرَاءَ كَالـذَّهَبِ

وَقَدْ كَانَ ابْنُ عَمَّارٍ ذَهَبَ مَذْهَبَهُ، وَفَضَّضَهُ بِالإِبْدَاعِ وَذَهَّبَهُ، حِيْنَ دَخَلَ سَرَقُسْطَةَ، وَرَأَى غَبَاوَةَ أَهْلِهَا، وَتَكَاثُفَ جَهْلِهَا، وَشَاهَدَ مِنْهُم مَنْ لا يَعْلَمُ مُعْنًى وَلا فَصْلاً، وَوَاصَلَ مَنْ لا يَعْرِفُ قَطْعاً وَلا وَصْلاً، فَأَقْبَلَ عَلَى رَاحَةٍ يَتَعَاطَاهَا، وَعَكَفَ عَلَيْهَا مَا تَعَدَّاهَا ولا تَخَطَّاهَا، حَتَّى بَلَغَهُ أَنَّهُمْ نَقَدُوْا مُعَاقَرَتَهُ للعُقَارِ، وَجَالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فِيْ تَوْبِيْخِهِ مَجَالَ ذِيْ الفَقَارِ... فَلا اسْتِرَاحَةَ إِلاَّ فِيْ مُعَاطَاةِ حُمَيَّا، وَمُؤَاخَاةِ وَسِيْمِ المُحَيَّا"[٣].

ولا شك أن هذه المقارنة تكشف عن أنه عرف طرائق الشعراء المشارقة والأندلسيين معاً وأساليبهم الفنية المختلفة.

ثالثاً - الصدق في القول، وهو عنده يتمثل في مدح الرجل بما فيه؛ أي أنه كان يتوخى الصدق ويلتزم به، ففي تقديمه لقصيدة قالها ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ في مدح الظَّافِر عَبْد الرَّحْمَن بن عُبَيْد الله بنِ ذِي النُّوْنِ، يقول:" وَهُوَ مَدْحٌ طَابَقَ الْمَمْدُوْحَ، وَوَصْفٌ شَاكَلَهُ كَالرُّوْضِ وَالْغَمَامِ السَّفُوْحِ، فَنَظَمَ الدُّرَّ بِأَبْهَى جِيْدٍ، وَقَلَّدَ الفَخْرَ أَعْلَى مُجِيْدٍ، وَوَضَعَ العِلْقَ فِيْ يَدَيْ مُمَيِّزِهِ، وَأَجْرَى الْجَوَادَ فِيْ مَيْدَانِ مُجَوِّزِهِ، لَمْ يَحْمِلْهُ إِلَى غَيْرِ مَوْضِعِ نَفَاقٍ، وَلا شَامَ بِهِ مُخِيْلَةً ذَاتَ إِخْفَاقٍ، فَإِنَّهُ كَانَ أَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ، وَأَمْضَى مِنَ اللَّيْثِ، وَأَذْكَى مِنَ الحُسَامِ، وَأَبْهَى مِنَ البَدْرِ لَيْلَةَ التَّمَامِ..."[٤]. وهو في حكمه هذا لا يبتعد كثيراً عن قول عمر بن الخطاب متحدثاً عن زهير بن أبي سلمى:" إنه كان لا يعاضل بين

(١) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوسي، ص٧ ظ.

(٢) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوسي، ص٥ ظ.

(٣) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوسي، ص٥ و.

(٤) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوسي، ص٩ و.

الكلام، ولا يتبع وحشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"(١).

رابعاً - ابتكار المعاني واختراعها، لقد أشار الفتح بن خاقان في بعض المواضع إلى بعض جوانب الإبداع والابتكار في شعر ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ، دون أن يقف عند نصوص الشعر موقفاً تحليلياً، يبسط القول لإيضاح أحكامه، وبيان دلالات المصطلحات أو الألفاظ التي يستخدمها، أو يعلل آراءه، ومن ذلك تعليقه على "قَوْلُهُ فِيْ وَصْفِ طُوْلِ اللَّيْلِ عَلَيْهِ، حِيْنَ كَابَدَ مِنْهُ مَا عَظُمَ لَدَيْهِ:

تُرَى لَيْلُنَا شَابَتْ نَوَاصِيْهِ كَبْرَةً   كَمَا شِبْتُ أَمْ فِيْ الْجَوِّ رَوْضُ بَهَارِ

كَأَنَّ اللَّيَالِي السَّبْعَ فِيْ الأُفْقِ جُمِّعَتْ   وَلا فَصْلَ فِيْمَا بَيْنَهَا لِنَهَارِ

إن ذلك" مِمَّا يُسْتَغْرَبُ لَه ويستبدع، وَيُشَادُ بِذِكْرِهِ وَيُسْمَعُ، وَيُعَدُّ مِمَّا ابْتَكَرَ مَعْنَاهُ وَاخْتَرَعَ"(٢)؛ فهو يحشد أربعة ألفاظ في تعليقه على وصف ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ طول الليل، ويصدر حكماً نقدياً مقتضباً غير معلل، على الرغم من أن حكمه يشير إلى أنه أتى بالصورة الجديدة المبتكرة، القائمة على الإغراب والاستبداع، والتوليد في المعاني الشائعة، بالمعنى المستظرف الذي لم تجر العادة بمثله(٣)، وقد عدّ حازم القرطاجني الاختراع غاية في الاستحسان(٤)، كما أن الاستغراب، وهو الإتيان بمعنى غريب نادر لم يسمع بمثله أو سمع وهو قليل الاستعمال(٥).

ومن ذلك أيضاً تعليقه على قصيدة قالها ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ في مد القادر بن ذي النون، حيث يقول:" وَمِنْ مَدِيْحِهِ الَّذِيْ أَبْدَعَ فِيْهِ وَأَغْرَبَ، وَذَهَبَ فِيْهِ أَحْسَنَ مَذْهَبٍ، قَوْلُهُ يَمْدَحُ القَادِرَ، رَحْمَةُ

---

(١) ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ج١، ص٦٣. تعد قضية الصدق والكذب في الشعر من القضايا التي حظيت باهتمام كبير بين النقاد والباحثين القدامى والمحدثين، حول هذه الظاهرة انظر: ابن طباطبا العلوي، **كتاب عيار الشعر**، تحقيق عبدالعزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٥، ص٩-١٣، ٢٢-٢٤، ٧٢؛ عبدالقاهر الجرجاني، **كتاب أسرار البلاغة**، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، ١٩٩١، ص٢٧٠-٢٧٥؛ ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢، ج١، ص٢٢-٢٥، ج٢، ص٥٣، ٦٠-٦٢؛ حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١، ص٦٢-٨٨؛ محمد بن عبدا لرحمن الهدلق، **"رأي حازم القرطاجني في قضية الصدق والكذب في الشعر"**، في ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية: تيارات الفكر في المغرب والأندلس، الروافد والمعطيات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان، جامعة عبدا لملك السعدي، ١٩٩٥، ص٤٩-٦٤.

(٢) **ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي**، ص١٦ و.

(٣) أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩، ج١، ص١٠٩.

(٤) حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء**، ص٣٥٢.

(٥) أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، ص١٥٨.

اللهِ عَلَيْهِ(١):

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أَنِّيَ هَائِمُ تَصَدَّعُ قَلْبِيَ حَوْلَ وَصْلِكَ حَائِمُ

وشبيه بهذا النقد الجزئي ما قدم به لمقطوعة غزلية، بقوله:" وَمِنْ شِعْرِهِ المُطْرِبِ، وَتَغَزُّلِهِ المُعْجِبِ، قَوْلُهُ(٢):

أَيَا قَمَراً فِيْ وَجْنَتَيْهِ نَعِيْمُ وَبَيْنَ ضُلُوْعِي مِنْ هَوَاهُ جَحِيْمُ

فهو لم يذكر دلالة "الشعر المطرب"، عى الرغم من أن تعليقه يدل على ذوق أدبي رفيع، وإحساس شعري مرهف، فإن النقاد وعلى رأسهم ابن سعيد يذهبون إلى أن المطرب:" ما نقص فيه الغوص عن درجة الاختراع إلا أن فيه مسحة من الإبداع"(٣).إلى أن الغرابة شكلت القاسم المشترك بين تعليقات الفتح بن خاقان على أشعار ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ، وهي "تعني الجدة المصاحبة للابتكار، أو الجدة المرافقة لتوليد شيء جديد من أمور لم تعد جديدة، وإذا عثر عليها المتذوق اشتد به الطّرب إلى درجة التعبير عنه بالرقص، ولذلك سمى ابن سعيد ما تمتع بالجدة من حيث الابتكار أو التوليد، باسم المرقص، وسمى ما دونه مما عليه إثارة من الابتداع لا تبلغ بالمتذوق حد الرقص، وإنما تثير في النفس هزة ارتياح ونشوة طرب باسم المطرب"(٤).

٥. أهمية الترجمة:

لقد اتسمت المادة الأدبية التي اشتملت عليها هذه الترجمة بالغزارة والاتساع؛ لأن هدفه من كتابه تسجيل أروع ما أنتجته قريحة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ من النظم الرائع، حيث يقول:" وَقَدْ أَثْبَتُّ مِنْ مَحَاسِنِهِ الَّتِيْ تَدُوْرُ جِرْيَالاً، وَيَصِيْرُ الحِبْرُ بِقِصَّتِهَا نَيَالاً، مَا يُنْشِي وَيُسْكِرُ، وَيَحْمَدُهُ الوَسْمِيُّ المُبْكِرُ"(٥)؛ لذلك تعد هذه الترجمة مصدراً مهماً لكثير من المصادر التي جاءت بعدها وترجمت لابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ؛ إذ إنه أورد أشعاراً لم يوردها غيره، وهناك قطعة دخيلة على ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ الأصلية في كتاب الذخيرة، فيما يقدر إحسان عباس، وقد اعتمد ناقلها على ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ المفردة التي ألفها الفتح بن خاقان(٦). وقد نقل المقّري بعض

---

(١) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٢١ظ.

(٢) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٢١و.

(٣) ابن سعيد، علي بن موسى بن سعيد (ت ٦٧٣هـ/١٢٧٤م)، المرقصات والمطربات، دار حمد ومحيو، القاهرة، ١٩٧٣، ص٨.

(٤) انظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٥٣٤.

(٥) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٤ و.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٣-٨٩٥.

نصوص من الترجمة في كتاب النفح[١]، ونقل في أزهار الرياض نصوصها كاملة[٢]. ونقل بعض المؤلفين نصوصاً كاملة من هذا المؤلف، واعتمدوا عليه كمصدر أصيل، فمن الذين نقلوا عنه: العماد الأصفهاني في الخريدة[٣]. كما حاكى ابن ظافر الأزدي أسلوبه في التقديم لبعض قصائد ابن السِّيْد البَطَلْيَوْسيّ التي نقلها عنه، في كتابه بدائع البدائه، ونسج على منواله، حتى غدت الحكاية لابن خاقان، واللفظ لابن ظافر الأزدي[٤].

كما أن هذه الترجمة تتضمن قصائد ومقطعات ونتفاً شعرية وأخباراً تاريخية مختلفة تصور بعض مظاهر الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية البارزة في عصري الطوائف والمرابطين، مثل بطش بعض الحكام الأندلسيين الذين اتصل بهم ابن السِّيْد البَطَلْيَوْسيّ ، ومن هؤلاء أبو مروان عبدالملك بن رزين الذي عرف بـ"سطواته الباطشة، ونَكَبَاتُهُ البَارِيَةُ لسِهَامِ الرُّزْءِ الرَّائِشَةُ، فَقَلَّمَا سَلِمَ مِنْهَا مُقَادُ الأَمْوَالِ، وَلا أَحْمَدَ عُقْبَاهُ مَعَهُ صَاحِبٌ وَلا وَالٍ"[٥]، على الرُّغم من أن "دَوْلَتُهُ كانت مَوْقِفَ البَيَانِ، وَمَفْرِقَ الأَعْيَانِ، وَمُحَصَّبَ جِمَارِ الآمَالِ، وَأَعْذَبَ مَوَارِدِ الأَجْمَالِ"[٦].

ومن ذلك أيضاً تغير الأيام على بني عبد العزيز وانتزاعها المجد منهم، يقول: "وَخَدَمَتْهُمْ الدُّنْيَا وَبَنُوهَا، وَأَمِنَتْهُمْ الأَيَّامُ وَلَمْ يَأْمَنُوهَا، فَرَّقَتْ جُمُوعَهُمْ، وَأَخْلَتْ رُبُوعَهُمْ، وَنَثَرَتْ سِلْكَهُمْ، وَمَزَّقَتْ مُلْكَهُمْ، وَهَدَّتْ مُشَيَّدُ بِنَائِهِمْ، وَاحْتَلَّتْ الحَوَادِثُ فِيْ فِنَائِهِمْ، وَبَقِيَ أَبُوْ عَبْدِ المَلِكِ هَذَا آخِرَهُمْ"[٧]. ومنها ما يتصل بما اتَّسم به عصر ملوك الطوائف من اضطرابات وفتن سياسية، وانهيار القيم الأخلاقية وانقلاب موازين الأمور، وارتقاء الجهلاء، وتهميش الفضلاء، نتيجة التَّغير الاجتماعي الذي أصاب المجتمع الأندلسي، فأصبحت المعايير الاجتماعية والقيم الأصيلة غير مؤثِّرة، ولم تعد قادرة على تأدية دورها ووظيفتها في ضبط سلوك أفراد المجتمع[٨]، مما حدا بالفتح بن خاقان إلى القول إنه "زَمَنٍ حَلْيَ عَاطِلَهُ، وَجُلِّي فِيْ أَحْسَنِ الصُّوَرِ بَاطِلُهُ، وَنَفَقَتْ مُحَالاتُهُ، وَطَبَّقَتْ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ اسْتِحَالاتُهُ، فَلَبِيبُهُ كَاسِدٌ، وَنَبِيُهُ مُسْتَأْسِدٌ، وَأَخْفَاشُهُ تَنَمَّرُ، وَبُغَاثُهُ قَدِ اسْتَنْسَرَ"[٩]. كما أشار إلى تشجيع

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٦٤٣-٦٥٠.
(٢) المقّري، أزهار الرياض، ج٣، ص١٠٣-١٣٧.
(٣) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج٣، ص٤٨٣-٤٨٥.
(٤) انظر: ابن ظافر الأزدي، بدائع البدائه، ص٣٠٩.
(٥) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص١٤ و.
(٦) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص١٤ و.
(٧) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص١٥ ظ.
(٨) انظر: فايز القيسي، دراسات في الأدب الأندلسي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣، ص٢٠-٢٨.
(٩) ترجمة ابن السِّيْد البَطَلْيوسي، ص٦ و. وقوله: " وَبُغَاثُهُ قَدِ اسْتَنْسَرَ"، مأخوذ من المثل: " إنّ البُغَاث بأرضنا يستنسر"، انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٠.

أمراء الأندلس للأدب، ورعايتهم للعلم، وتنافسهم في تقريب العلماء، واجتذاب الأدباء والشعراء إلى قصورهم وعواصم ملكهم، ومن هؤلاء على سبيل المثال بَنُوْ عَبْد الْعَزِيْزِ الذين كانوا في شرق الأندلس على حد قول الفتح بن خاقان" بِدُوْرَ غَيَاهِبِه، وَصُدُوْرَ مَرَاتِبِه، وَبُحُوْرَ مَوَاهِبِه، نُظِمَتْ فِيْهِمْ المَدَائِحُ، وَعَظُمَتْ مِنْهُمْ المَنَائِحُ، وَنُفِقَتْ عِنْدَهُمْ أَقْدَارُ الأَعْلامِ، وَتَدَفَّقَتْ لَدَيْهِمِ بِحَارُ الكَلامِ"[١]. وكَانَت دَوْلَة ابن رزين "مَوْقِفَ البَيَانِ، وَمَفْرِقَ الأَعْيَانِ، وَمُحَصَّبَ جِمَارِ الآمَالِ، وَأَعْذَبَ مَوَارِدِ الأَجْمَالِ"[٢]، وكان البَطَلْيَوْسِيّ أحد هؤلاء الوافدين عليهم، في الدور الثاني من حياته.

٦ - النسخ الخطية المعتمدة في تحقيق النص:

ينهض هذا البحث على تحقيق تَرْجَمَةِ ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ اعتماداً على نسختين، أولهما نسخة خطية انتهت إلينا، محفوظة في مكتبة الإسكوريال تحت رقم (٤٨٨)[٣]، وعنها نسخة مصورة في مركز المخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم (١٣١٧)، ووردت النسخة المخطوطة ضمن مجموع يضم قصائد كثيرة لشعراء ورسائل لكتاب أندلسيين ورحلة، وعدد أوراق هذا المجموع ٣٠٥ أوراق، وهي نسخة مكتوبة بخط مغربي جميل، مشكولة الكلمات، وهي مجهولة الناسخ، وتاريخ النسخ، ويقع نص الترجمة ضمن الأوراق ٢ -٢٢، ومتوسط عدد السطور في الصفحة الواحدة خمسة عشر سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في الصفحة الواحدة اثنتا عشرة كلمة.

أما النسخة الثانية فهي التي نقلها المقَّري، في الجزء الثالث من كتابه أزهار الرياض، كاملة في أثناء حديثه عن ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ، وهو من شيوخ القاضي عياض، وهي منشورة دون تحقيق علمي؛ إذ يعتورها بعض الأخطاء في القراءة، وتفتقر نصوصها إلى الضبط والتخريج والتوضيحات الضرورية، وعدم معارضتها بأصولها المحققة والمنشورة؛ لذا تبدو أهمية تحقيق تَرْجَمَةِ ابْن السِّيْد البَطَلْيَوْسِيّ تحقيقاً علمياً يجعل نص الترجمة قريباً من صورته الأصلية الّذي كتبه عليه منشئه.

٧ - المنهج المتبع في تحقيق النص:

اتخذت من نسخة مكتبة الإسكوريال أصلاً، وقابلت عليها النسخة الأخرى مقابلة دقيقة،

---

(١) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوسي، ص١٥ظ.

(٢) ترجمة ابْن السِّيْد البَطَلْيَوسي، ص١٤ و.

(٣) لعله من المفيد الإشارة إلى أن محمد بن شنب قد جانب الصواب في ما ذكره من أن من هذا المؤلف نسخة خطية في مكتبة الإسكوريال تحت رقم (٤٤٨)، وقد تابعه على ذلك محمد علي شوابكة في مقدمة تحقيقه لمطمح الأنفس، والصحيح أن النسخة تحت رقم ٤٨٨. انظر: الفتح بن خاقان، مطمح، (دراسة المحقق)، ص٧٩. M.. Ben Cheneb, Al-Fath b. Khakan, **The Encyclopadia of Islam**, ed. By Lewis, Ch. Pellat and Schacht, Leiden-E.J. Brill, 1938, vol. 2, p. 838.

وأثبت الفروق في القراءات بين هاتين النسختين في الحواشي، أما إذا تفردت النسخة التي أوردها المقّري بزيادة وكانت متسقة مع سياق النص فإنني جعلتها بين قوسين مركنيين، كما أنني نبهت على الخطأ الواقع فيهما.

وقد اجتهدت في ضبط النص وتقديمه بمعارضة النصوص بأصولها المنشورة في كتب الأدب والتراجم والتواريخ وغيرها من الأصول، واتبعت خطة مطّردة في معالجة النص من التعريف بالأعلام، وتخريج النص، وضبط الفروق في القراءات، وشرح المفردات المبهمة.

ثانياً - نص الترجمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(١)

صَلَّى اللهُ على كافَّةِ الأَنْبياءِ(٢)

تَرْجَمَةُ ابْنِ السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيِّ

لِلْفَتْحِ ابْنِ خَاقَان

قَالَ ذُو الوِزَارَتَيْنِ الكَاتِبُ أَبُوْ نَصْرٍ، الفَتْحُ ابْنُ عُبَيْدِ اللهِ المَعْرُوْفُ بِابْنِ خَاقَانَ، رَحِمَهُ اللهُ: أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الَّذِيْ جَعَلَ اللَّيْلَ لِبَاساً، وَأَزَالَ عَنْ قُلُوْبِنَا شَكّاً وَالْتِبَاساً، وَأَرَانَا مِنَ الهُدَى مَنَاراً، وَجَعَلَ لَنَا مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً، وَخَلَقَنَا أَطْوَاراً، وَأَطْلَعَ لَنَا شُمُوْساً وَأَنْوَاراً(٣)، تَدُلُّ عَلَى حِكْمَتِهِ، وَيُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مِقْدَارِ نِعْمَتِهِ. وَالصَّلاةُ عَلَى نَبِيِّهِ الَّذِيْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِ الضَّلالَةِ، وَجَلَّى عَنَّا غَيَاهِبَ الْجَهَالَةِ، فَظَهَرَ الرَّشَادُ بَعْدَ احْتِجَابِهِ، وَتَوَارَى الغَيُّ فِيْ حِجَابِهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً](٤).

فَإِنِّيْ لَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الكِتَابِ الَّذِيْ أَبْدَيْتُ بِهِ لِلإِحْسَانِ مَبْسِماً، وَجَعَلْتُهُ لِمَحَاسِنِ الثَّنَاءِ مَوْسِماً، وَجَلَوْتُ فِيْهِ أَبْكَارَ المَفَاخِرِ وَعُوْنَهَا، وَخَصَصْتُ بِهِ نُكَتَ المَآثِرِ وَعُيُوْنَهَا، وَشَعْشَعْتُ فِيْهِ المَحَاسِنَ وَرَوَّقْتُهَا، وَفَتَقْتُ فِيْهِ كَمَائِمَ البَدَائِعِ وَشَقَّقْتُهَا؛ حَتَّى أَتَت أَزْهَى مِنَ الحَدِيْقَةِ، وَأَبْهَى مِنْ مُلْكِ النُّعْمَانِ بنِ(٥) الشَّقِيْقَةِ، يَتَمَنَّى السِّحْرُ أَنْ يَحُلَّهَا، وَالعُيُوْنُ النُّجْلُ أَنْ تُكْحِلَهَا، فَصَارَتْ بِهِ لأَهْلِ الأَنْدَلُسِ أَلْسُنٌ مُفْتَخِرَةٌ، وَانْتَشَرَتْ لِمَعَالِيْهِمْ عِظَامٌ نَخِرَةٌ، وَرَأَيْتُ فِيْهِ فَضْلَ الأَوَاخِرِ عَلَى الأَوَائِلِ، وَجَرَيْتُ بِهِ أَمَامَ

---

(١) سقطت من أزهار الرياض، ج٣، ص١٠٣. المقّري، أزهار الرياض، ج٣، ص١٠٣-١٣٧.

(٢) سقطت من أزهار الرياض، ج٣، ص١٠٣.

(٣) في: أزهار الرياض، "وأقماراً"، ج٣، ص١٠٣.

(٤) زيادة من أزهار الرياض، ج٣، ص١٠٤.

(٥) في: أزهار الرياض "بين" ، ج٣، ص١٠٤. والنعمان بن الشقيقة هو: النعمان بن المنذر (الرابع) بن المنذر بن امرىء القيس، حمى ظهر الكوفة وشقائقها، ومن هنا يقال شقائق النعمان، مات قبل الهجرة النبوية بخمسة عشر عاماً. انظر: سرح العيون، ص٣٦٨-٣٧١؛ ابن نشوان الحميري، أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان (ت٥٧٣هـ/١١٧٦م)، الحور العين، تحقيق كمال مصطفى، مطبعة دار السعادة، القاهرة، ١٩٤٨، ص٧٦.

سَحْبَانَ وَائِلٍ[1]، وَمَلَكْتُ بِسَبَبِهِ كُلَّ قِيَادٍ، وَتَرَكْتُ وَرَائِي قُسَّ إِيَادٍ[2]، وَكَانَ لِيْ فِيْهِ أَمَلُ ثَنَائِي أَنْ يُجْتَلَى[3]، وَعَدَانِيْ أَنْ يُنَصَّ وَيُتْلَى؛ فَطَوَيْتُهُ طَيَّ السِّجِلِّ، وَلَوَيْتُهُ لَيَّ مُحَيَّا الخَجِلِ، وَتَرَكْتُهُ كَالبَدْرِ فِيْ السِّرَارِ، وَأَخْفَيْتُهُ كَمَا خَفِيَ فِيْ الغِمْدِ مَاضِي الغِرَارِ؛ وَالخَوَاطِرُ تَهِيْمُ بِهِ أَعْظَمَ هَيْمٍ، وَتَسْتَمْطِرُهُ اسْتِمْطَارَ المَحْلِ لِلدِّيَمِ؛ وَالنُّفُوْسُ تَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ، تَشَوُّفَ الضَّالِّ لِلمُرْشِدِ، وَالآذَانُ تُصِيخُ إِلَيْهِ، إِصَاخَةَ النَّاشِدِ لِلمُنْشِدِ، وَأَنَا أَجْعَلُ لِقَاحَهُ حِيَالاً، وَلا أُرِيْهِ طَيْفاً وَلا خَيَالاً، ثُمَّ خَشِيْتُ أَنْ يَكْسُوَ الزَّمَانُ جَوْهَرَهُ عَرَضاً، وَيَتَّخِذَ الحِدْثَانُ بَدْرَهُ غَرَضاً، فَتُمْحَى مِنْ وَجْهِ الزَّمَانِ غُرَّتُهُ، وَتَسْقُطَ عَنْ جَبِيْنِ الدَّهْرِ دُرَّتُهُ، وَمَا لُمِحَ مِنْهُ عُنْوَانٌ، وَلا شِيْمَ مِنْهُ مَا فِيْهِ سُلْوَانٌ، فَتَذُوْبُ النُّفُوْسُ عَلَيْهِ كَمَداً، وَتُحْشَى عُيُوْنُ الذَّكَاءِ بَعْدَهُ رَمَداً، فَرَأَيْتُ أَنْ أَسْتَخْرِجَ مِنْ أَخْبَارِهِ خَبَراً يَدُلُّ عَلَيْهِ، دَلالَةَ اللَّفْظِ عَلَى المَعْنَى، وَاللَّحْظِ عَلَى المُعَمَّى[4]، وَيُنْبِئُ عَنْهُ، إِنْبَاءَ النَّسِيْمِ عَلَى الزَّهَرِ، وَيُشِيْرُ إِلَيْهِ، إِشَارَةَ الشَّاطِئِ إِلَى النَّهَرِ.

وَلَمَّا كَانَ الفَقِيْهُ الأَجَلُّ، أَبُوْ مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ السِّيْدِ -أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ- تَاجَ مَفْرِقِهِ، وَهِلالَ أُفُقِهِ، وَمَهَبَّ نَفْحِ صُوَارِهِ، وَمُحَلِّي أَنْوَارِهِ، وَمُجَلِّي أَنْجَادِهِ وَأَغْوَارِهِ، وَكُنْتُ قَدْ أَحْكَمْتُ نَسَقَ أَخْبَارِهِ وَسَرْدَهَا، وَفَوَّقْتُ مُطْرَفَهَا وَبُرْدَهَا، وَأَطْلَعْتُهَا قَمَراً، وَجَعَلْتُهَا سَمَراً، إِذْ هُوَ أَزْخَرُ عُلَمَائِنَا بَحْراً، وَأَوْسَعُهُمْ نَحْراً، وَأَحْسَنُهُم خَوَاطِرَ، وَأَسْكَبُهُمْ مَوَاطِرَ، وَأَسْيَرُهُمْ أَمْثَالاً، وَأَعْدَمُهُمْ مِثَالاً، وَأَصْدَقُهُمْ لِسَاناً، وَأَعَمُّهُمْ إِحْسَاناً، وَأَرْفَعُهُمْ رَايَةً، وَأَبْعَدُهُمْ غَايَةً، وَمَحَاسِنُهُ أَعْذَبُ جِمَاماً، وَأَصْفَى غَمَاماً، وَأَظْهَرُ إِعْجَازاً، وَأَحْسَنُ صُدُوْراً وَأَعْجَازاً -رَأَيْتُ أَنْ أُفْرِدَ كِتَاباً فِيْ أَخْبَارِهِ، وَأُجَرِّدَ بَاباً[5] فِيْ إِعْظَامِهِ وَإِكْبَارِهِ؛ لِيَبِيْنَ بِهِ فَضْلُ مَنْ ضَمَّنْتُهُ تَصْنِيْفِي، وَيُعْلَمَ بِأَخْبَارِهِ مَا أَوْدَعْتُ فِيْ تَأْلِيْفِيْ، وَيُرَى أَنَّهُ قَطْرَةٌ مِنْ غَمَامٍ، وَذَرَّةٌ مِنْ نِظَامٍ، وَصُبْحٌ يَدُلُّ عَلَى نَهَارٍ، وَنَفْحٌ صَدَرَ عَنْ حَدَائِقَ وَأَزْهَارٍ. وَاللهُ المَلِيُّ بِالعَوْنِ[6]، وَالكَفِيْلُ بِالكَلاءَةِ وَالصَّوْنِ، لا رَبَّ غَيْرُه.

الفَقِيْهُ الحَافِظُ، وَالإِمَامُ[7] الأَوْحَدُ، أَبُوْ مُحَمَّدٍ: هُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ السِّيْدِ البَطَلْيَوْسِيّ ،

---

(١) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة، كان خطيباً، يُضربُ به المثل في البيان والفصاحة، انظر: الميداني، **مجمع الأمثال**، ج١، ص ٢٤٩؛ البكري، **فصل المقال**، ص٤٩٦ -٤٩٧.

(٢) قس بن ساعدة بن عمرو الإيادي، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية كان أسقفاً بنجران، انظر: ابن قتيبة، **المعارف**، ص٦١.

(٣) في: **أزهار الرياض**: يُجلَى، ج٣، ص١٠٤.

(٤) في: **أزهار الرياض**: المَعْنَى"، ج٣، ص١٠٤.

(٥) في: **أزهار الرياض**: "نباباً"، ج٣، ص١٠٤.

(٦) في: **أزهار الرياض**: " المولى العون"، ج٣، ص١٠٥.

(٧) في: **أزهار الرياض**: سقطت الواو، ج٣، ص١٠٥.

وَشِلْبُ[1] بيضتُهُ، وَمِنْهَا كَانَت حَرَكَةُ أَبِيْهِ ونَهْضَتُهُ، وفِيْهَا كَانَ قَرَارُهُمْ[2]، وَمِنْهَا نَمَّ آسُهُمْ وَعَرَارُهُمْ[3]، ونُسِبَ إِلَى بَطَلْيَوْس، لِمَوْلِدِهِ بِهَا[4]، وَمِنْ حَيْثُ كَانَ؛ فَقَدْ طَبَّقَ الأَرْضَ عِلْماً، وَمَلأَهَا ذَكَاءً وَفَهْماً[5].

وَأَنَا أَقُوْلُ: لَوْ أَنَّ لِلأَيَّامِ أَلْسُناً نَاطِقَةً، وَأَوْصَافاً مُتَنَاسِقَةً، تردِّدُ فُنُوْنَ بَيَانِهَا، كَالطَّيْرِ تُرَجِّعُ عَلَى أَفْنَانِهَا، مَا جَرَتْ إِلَى إِنْصَافِهِ، وَلا دَرَت بَعْضَ أَوْصَافِهِ، وَلَوْ أَنِّيْ أُمْدِدْتُ بِبَيَانِ سَحْبَانَ، وأُيِّدْتُ تَأْيِيْدَ لِسَانِ حَسَّانَ[6]، وَأَعَارَنِيْ ابْنُ صُوْحَانَ[7] إِفْصَاحَهُ، وَعَلَّمَنِيْ خَالِدُ بنُ صَفْوَانَ[8] إِيْضَاحَهُ، لَمَا أَعْرَبْتُ عَنْ مِقْدَارِهِ الرَّفِيْعِ، وَلا أَعْرَبْتُ بِمَا أَنْحُوْهُ لَهُ مِنَ التَّعْظِيْمِ وَالتَّرْفِيْعِ، فَكَيْفَ بِلِسَانٍ قد فُلَّ غِرَارُهُ، وَبَنَانٍ قَدْ ذَوَى رَنْدُهُ وَعَرَارُهُ، وَخَاطِرٍ قَدْ ارتَمَى فِيْ لُجَجِ الأَخْطَارِ، وَوُخِزَ بِأَطْرَافِ القَنَا الخَطَّارِ، فَمَا تُذَلُّ لَهُ عَصِيُّ إِحْسَانِهِ، وَلا تَحُلُّ النَّوَائِبُ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِهِ، فَحَسْبِي أَنْ أَقْتَصِرَ مِنْ وَصْفِهِ عَلَى لَمْحِهِ، وَأُعَطِّرَ مِنْ عَرْفِهِ بِنَفْحِهِ، فَأَقُوْلُ: إِنَّهُ ضَارِبُ قِدَاحِ العُلُوْمِ وَمُجِيْلُهَا، وَغُرَّةُ أَيَّامِنَا البَهِيْمَةِ وَتَحْجِيْلُهَا، لَوْ أَدْرَكَهُ ابْنُ قَيْسٍ[9] لَمَا قَضَى لِلْحِلْمِ وِتْراً وَلا شَفْعاً، وَلَوْ عَاصَرَهُ ابْنُ العَاصِي[10] لَمَا ادَّعَى ضُرّاً وَلا نَفْعاً، حَلَبَ الدَّهرَ أَشْطُرَهُ، وَتَلا حُرُوْفَهُ وَأَسْطُرَهُ، وَخَدَمَ الرِّيَاسَاتِ، وَعَلِمَ طُرُقَ

---

(١) القطعة من "وشِلب بيضته... وملأها ذكاء وفهماً"، وردت في: **الذخيرة**، ق٣، م٢، ص٨٩١؛ **وقلائد العقيان**، ج٤، ص ٧٠٨، مع اختلاف في بعض الكلمات. وشِلْب: (Silves): مدينة تقع غربي الأندلس، كانت قاعدة ولاية أشكونية. انظر: الحميري، محمد بن عبدالمنعم (القرن ٦هـ/١٢م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، حققه إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤، ص ٤٣٢.

(١) **قلائد العقيان**، ج٤، ص ٧٠٨؛ بني ياسين، **بلدان الأندلس**، ص٣٥٨.

(٢) في **قلائد العقيان**: "استقرارهم" ج٤، ص ٧٠٨.

(٣) في **قلائد العقيان**، ج٤، ص ٧٠٨: "وعنها وقع عندَ تغلب البربر قرارهم".

(٤) في **الذخيرة**، ق٣، م٢، ص٨٩١؛ **وقلائد العقيان**، ج٤، ص٧٠٨: "ونُسِبَ إلى بَطَلْيوس لتَرَدُّده بها، ولمَوْلدِه في تُرْبِها".

(٥) **الذخيرة**، ق٣، م٢، ص٨٩١؛ **وقلائد العقيان**، ج٤، ص٧٠٨: "فَقَد طَبَّقَ الأَرْضَ رِفْعَةَ ذِكْرٍ، وسَبَقَ أَهْلَهَا بِكُلِّ نَزْعَةِ فِكْرٍ".

(٦) في ذلك إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ روح القدس لا يزالُ يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله"، مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٤٠م)، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٢، ج٤، حديث رقم ٢٤٩٠.

(٧) ابن صُوْحَانَ هو صعصعة بن صُوْحان، من أصحاب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكان من أُخْطَبِ النَّاس، انظر: ابن قتيبة، **المعارف**، ص٤٠٢.

(٨) خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم المِنْقري التَّميمي البصري، كان لَسِناً بيِّناً خطيباً، عاش إلى قيام دولة بني العَبَّاس، انظر: ابن قتيبة، **المعارف**، ص٤٠٣-٤٠٤.

(٩) يريد الأحنف بن قَيْس، ابن قتيبة، **المعارف**، ص٤٢٣-٤٢٥.

(١٠) يريد عمرو بن العاص، ابن قتيبة، **المعارف**، ص٢٨٥-٢٨٦.

السِّيَاسَاتِ[١]، ونَفَقَ وكَسَدَ، ووَقَفَ وتَوَسَّدَ. وهُوَ الْيَوْمَ شَيْخُ المَعَارِفِ وإمَامُهَا، ومَنْ فِيْ يَدِهِ مقودُهَا وزِمَامُهَا[٢]، لَدَيْهِ تُنْشَدُ ضَوَالُّ الأعْرَابِ، وتُوْجَدُ شَوَارِدُ اللُّغَاتِ والإعْرَابِ[٣]، إلَى مَقْطَعٍ دَمِث، ومَنْزِعٍ فِيْ النَّفَاسَةِ غَيْرِ مُنتكِث، ونَدَى[٤] خَرَقَ بهِ العَوَائِدَ، وأوْرَقَ عَوْدُهُ فِيْ يَدِ الرَّائِدِ، وعَفَافٌ كَفَّ، حَتَّى عَنِ الطَّيْفِ، وحَكَى المُحْرِمِيْنَ بِالخَيْفِ[٥]، ولَقَدْ نَزَلْتُ منْهُ بِالنَّقِيِّ الطَّاهِرِ، ولَقِيْتُ منْهُ مَا لَقِى عَوْفُ بن محلِّم منْ ابْنِ طَاهِرٍ[٦]، ورَأَيْتُ نَارَ مَكَارِمِهِ تَتَأَلَّقُ، وبِتُّ كَأَنَّمَا عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ[٧] ولَهُ تَحَقُّقٌ بِالعُلُوْمِ الحَدِيْثَةِ والقَدِيْمَةِ، وتَصَرُّفٌ فِيْ طُرقِهَا المُسْتَقِيْمَةِ[٨]، مَا خَرَجَ بِمَعْرِفَتِهَا عَنْ مِضْمَارِ شَرْعٍ، ولا نَكَّبَ عَنْ أَصْلٍ للسُّنَّةِ[٩] ولا فَرْعٍ. وتَوَالِيْفُهُ فِيْ الشُّرُوْحَاتِ وغَيْرِهَا صُنُوْفٌ، وهِيَ اليَوْمَ فِيْ آذَانِ الأيَّامِ شُنُوفٌ. فَمِنْهَا (المُقْتَبَسُ، فِيْ شَرْحِ مُوَطَّأ مَالِكِ بنِ أَنَس)[١٠]. و(الاقْتِضَابُ فِيْ شَرْحِ أدَبِ الكُتَّابِ)[١١]. وكِتَابُ[١٢] (التَّنْبِيْهِ عَلَى السَّبَبِ المُوْجِبِ لاخْتِلافِ العُلَمَاءِ، فِيْ اعْتِقَادَاتِهِمْ وآرَائِهِمْ، وسَائِرِ أَغْرَاضِهِمْ وأَنْحَائِهِمْ)[١٣]، وغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ هَذَا المَوْضُوْعُ ويُخْفِيْهِ، ويُوْقَفُ عَلَى تَفْسِيْرِهِ فِيْهِ.

وقَدْ أَثْبَتُّ مِنْ مَحَاسِنِهِ الَّتِيْ تَدُوْرُ جِرْيَالاً، ويَصِيْرُ الحِبْرُ بِقِصَّتِهَا نَيَالاً، مَا يُنْشِي ويُسكِرُ،

(١) في **قلائد العقيان**: "تَصرَّف أبو محمد هذا مع الأيَّام كيف تصرَّفت، وجاراها حِيْنَ أقْبَلَت وحِيْنَ انْحَرَفت، فخدم الرِّياسات، وأبْرَمَ عُرَى السِّياسات"، ج ٤، ص٧٠٨-٧٠٩.

(٢) في **قلائد العقيان** بعدها: "ثُمَّ بَرِمَ بذلك الحيْفِ، فَعَدَل عن ذلك الحيف، وقعد للتدريس، واقتعد كاهلَهُ اقْتِعاد الرَّئيس"، ج٤، ص٧٠٩.

(٣) في **قلائد العقيان**: وتوجد غرائب اللغة والإعراب"، ج٤، ص٧٠٩.

(٤) العبارة من: "وندى خَرَقَ به... والمُحلَّق"، سقطت من **قلائد العقيان** ، ج٤، ص٧٠٩.

(٥) في **قلائد العقيان** سقطت الباء، ج٤، ص٧٠٩.

(٦) يُشير إلى منزلة عَوف بن مُحَلِّم الشَّيباني عند عبد الله طاهر بن الحسين، والي خراسان للمأمون، وكان من المختصين به، المقربين إليه، انظر: ابن قتيبة، **المعارف**، ص١٠٠.

(٧) قوله:" ". وبِتُّ كَأَنَّمَا عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ"، مأخوذ من شطر بيت الأعشى:

تُشَبُّ لمقرورَيْنِ يصطليانها وبات على النَّار والندى والمُحَلَّقُ

ابن منظور، **لسان العرب**، حلق.

(٨) في **قلائد العقيان**: "وله تحقق بالعلوم القديمة، وتصرُّف في طرقها القويمة"، ج٤، ص٧٠٩.

(٩) في **قلائد العقيان**: "عن أصل سُنَّة"، ج٤، ص٧٠٩.

(١٠) ذكر هذا الكتاب في ابن بشكوال، **الصلة**؛ القفطي، **إنباه الرواه**؛ السيوطي، **بغية الوعاة**.

(١١) حقق هذا الكتاب الدكتور حامد عبدالمجيد بالاشتراك مع الأستاذ مصطفى السقا، في ثلاثة أجزاء، وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٩٦.

(١٢) سقطت من . **قلائد العقيان**، ج٤، ص ٧٠٩.

(١٣) في **قلائد العقيان**: "التَّنبيه المستولي على كُلِّ أمرٍ من الدِّيانة نبيه"، وبعده "وإثبات النُّبوَّات وتحقيق الشرائع والدِّيانات"، ج٤، ص٧٠٩. وطبع هذا الكتاب باسم الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، وقام على تحقيقه الشيخ عمر المحمصاني الأزهري، وطبع بمطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣١٩هـ.

ويَحْمِدُهُ الوَسْمِيُّ المُبْكِرُ[1].

فَمِن[2] ذَلِكَ أنَّهُ حَضَرَ مَعَ القَادِرِ باللهِ بنِ ذِي النُّونِ[3] بِمَجْلِسِ النَّاعُورَةِ بِطُلَيْطِلَةَ[4]، فِي المُنْيَةِ المُتَنَاهِيَةِ البَهَاءِ والإشْرَاقِ، المُبَاهِيَةِ لِزَوْرَاءِ العِرَاقِ[5]، الَّتِي يَنْفَحُ شَذَاهَا العِطْرُ، ويَكَادُ مِنَ الغَضَارَةِ يُمْطِرُ[6]، والقَادِرُ باللهِ رَحِمَهُ اللهُ[7] قَدْ الْتَحَفَ الوَقَارَ وارْتَدَاهُ، وحَكَّمَ العُقَارَ فِي جُودِهِ ونَدَاهُ[8]، والمَجْلِسُ يُشْرِقُ كَالشَّمْسِ فِي الحَمَلِ، ومَنْ حَوَاهُ يَبْتَهِجُ كَالنَّفْسِ عِنْدَ مَنَالِ الأَمَلِ[9]، والزَّهْرُ عَبِقٌ[10]، وعَلَى مَاءِ النَّهْرِ مُصْطَبِحٌ ومُغْتَبِقٌ، والدُّولابُ يَئِنُّ كَنَاقَةٍ إِثْرَ حُوَارٍ[11]، أوْ كَثَكْلَى مِنْ حَرِّ الأُوَارِ، والجَوُّ قَدْ عَنْبَرَتْهُ أنْوَاؤُهُ، والرَّوْضُ قَدْ بَلَّلَتْهُ أنْدَاؤُهُ[12]، والأُسْدُ قَدْ فَغَرَتْ أفْوَاهَهَا، ومَجَّتْ أمْوَاهَهَا، فَقَالَ[13] يَصِفُ الحَالَ[14]		(المنسرح)

يَــا مَنْظَــراً إنْ رَمَقْــتُ[15] بَهْجَتَــهُ		أذْكَرَنِي[16] حُــسْنَ جَنَّــةِ الخُلْــدِ

---

(1) في: الذخيرة:" وَقَدْ أَثْبَتُّ مِنْ مَحَاسِنِه ما يبهر الألباب ويَسحر، ويَحسدُهُ الوَسْميُّ المُبْتكرُ"، ق٣، م٢، ص٨٩١، وفي قلائد العقيان: "ويَختالُ بها الزَّمان اختيالاً ما يُنكر، ويَحْسُدُهُ الوسميُّ المتكبِّرُ"، ج٤، ص٧٠٩.

(2) الدِّيباجة من قوله: "فمن ذلك أنه حَضَرَ... فقال يصف الحال"، وردت في: الذخيرة، ق٣، م٢، ص ٨٩٤؛ قلائد العقيان، ج٤، ص ٧١٤-٧١٥؛ بدائع البدائه، ص٣٠٩؛ نفح الطيب، ج١، ص٦٤٣-٦٤٤.

(3) في: الذخيرة:" وحضر مع ابن النون"، ق٣، م٢، ص٨٩٤. وابن النون هو أبو زكريا المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون، والقادر لقبه، وكان ملكاً على طليطلة عاصمة بني ذي النون، وكان سيء الرأي، مشغولاً بالملاذ، ومصادرة أموال الرعية، ومهادنة العدو، فاضطربت أحوال الإمارة في عهده، وانتشرت الفتن، مما اضطره إلى الفرار فالتجأ إلى ألفونسو للاستعانة به لإعادة ملكه فأغاثه، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٤٧؛ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٥.

(4) في: الذخيرة:" وحضر مع ابن النون بطليطلة بمجلس الناعورة"، ق٣، م٢، ص٨٩٤.

(5) زوراء العراق: سميَّت بغداد بالزوراء لانعطافها بانعطاف دجلة، انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٢٥٥.

(6) في: قلائد العقيان: "وأخبرني أنه حَضَرَ مع المأمون بن ذي النون بطليطلة في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح إليها المُنى، ومرآها هو المقترح والمُتمنَّى"، ج٤، ص٧١٤.

(7) سقطت "رحمه الله" من: الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٤.

(8) في: قلائد العقيان "والمأمون قد احتبى، وأفاض الحَبَا"، ج٤، ص٧١٤.

(9) في: قلائد العقيان: "والمجلس يروق كأن الشمس في أُفقه والبدرُ في مَفرقهِ"، ج٤، ص٧١٤-٧١٥.

(10) في: قلائد العقيان: "والنَّور عَبِقٌ"، ج٤، ص٧١٥.

(11) في: الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٤؛ وقلائد العقيان، ج٤، ص٧١٥: "إثر الحُوار".

(12) في: قلائد العقيان: "والرَّوضُ قد وشَّتْهُ أنداؤهُ، ج٤، ص٧١٥.

(13) إلى هنا تنتهي الدِّيباجةُ في قلائد العقيان، ج٤، ص٧١٥.

(14) سقطت:ط يصف الحال"، من: الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٤..

(15) في: بدائع البدائه: "نظرتُ"، ص٣٠٩.

(16) في: بدائع البدائه: "ذكَّرني"، ص٣٠٩.

تُرْبَتُهُ مِسْكٌ وَجَوُّ عَنْبَرَةٍ ... وَغَيْمُ[1] نَدٌّ وَطَشٌّ[2] مَا وَرْدُ

وَالمَاءُ كَاللازَوَرْدِ قَدْ نَظَمَتْ[3] ... فِيهِ اللآلِي فَوَاغِرُ الأُسْدِ

كَأَنَّمَا جَائِلُ الحَبَابِ بِهِ ... يَلْعَبُ فِي حَافَتَيْهِ[4] بِالنَّرْدِ

تَرَاهُ يَزْهِي إِذَا يَحِلُّ بِهِ الـ ... قَادِرُ زَهْوَ الْكَعَابِ[5] بِالعِقْدِ[6]

تَخَالُهُ إِنْ بَدَا بِهِ قَمَرًا[7] ... تَمًّا بَدَا فِي مَطَالِعِ السَّعْدِ

كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ حَدَائِقُهُ ... مَا حَازَ مِنْ شِيمَةٍ وَمِنْ مَجْدِ

كَأَنَّمَا جَادَهَا فَرَوَّضَهَا[8] ... بِوَابِلٍ مِنْ يَمِينِهِ رَغْدِ[9]

لا زَالَ فِي عِزَّةٍ[10] مُضَاعَفَةٍ ... مُيَمَّمَ الرِّفْدِ وَارِيَ الزَّنْدِ

وَلَهُ[11] يَصِفُ فَرَسًا، وَهُوَ مِمَّا أَبْدَعَ[12] فِي التَّمْثِيلِ لَهُ وَالتَّشْبِيهِ، وَنَبَّهَ خَاطِرَهُ فِيهِ أَحْسَنَ تَنْبِيهٍ[13]، وَخَلَعَ عَلَيْهِ شِيَاتِ لاحِقٍ وَالْوَجِيهِ[14]، وَعَمَّهُ بِالمَحَاسِنِ وَتَوَّجَ، وَنَسَبَهُ إِلَى الخَطَّارِ وَأَعْوَجَ[15]، وهوَ قولُهُ:

---

(١) في: قلائد العقيان: "وَغَيْمٌ"، ج٤، ص٧١٥.

(٢) في: بدائع البدائه:" وطلّ"، ص٣٠٩.

(٣) في: قلائد العقيان: "نطقت"، ج٤، ص٧١٥.

(٤) في: الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٤؛ وقلائد العقيان: ج٤، ص٧١٥: "جانبيه".

(٥) في: الذخيرة:" الفتاة"، ق٣، م٢، ص٨٩٤.

(٦) في: بدائع البدائه، ص٣٠٩؛ ونفح الطيب، ج١، ص٦٤٤: " تَرَاهُ يَزْهُو إذا يَحِلُّ به المأمونُ زَهْوَ الفَتَاةِ بالقَدّ".

(٧) في: الذخيرة:" لناظره"، ق٣، م٢، ص٨٩٤.

(٨) في: بدائع البدائه "وأمطرها"، ص ٣٠٩.

(٩) هنا تنتهي القصيدة في: الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٤؛ وبدائع البدائه، ص ٣٠٩.

(١٠) في: نفح الطيب:"رفعة"، ج١، ص٦٤٤.

(١١) وردت الديباجة والشعر في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٠٨، وورد بعض أجزاء هذه الدِّيباجة والشعر في: الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٣-٨٩٤؛ وورد بعض أجزاء هذه الدِّيباجة والبيت الأول في: قلائد العقيان، ج٤، ص٧١١.

(١٢) في: الذخيرة:" وهو مما اندفع"، ق٣، م٢، ص٨٩٣؛ وسقطت: "وهو مما"، من قلائد العقيان ، ج٤، ص٧١١.

(١٣) سقطت العبارة: "ونبّه خاطره فيه أحسن تنبيه" من: الذخيرة، ق٣، م٢، ص ٨٩٣؛ وقلائد العقيان ، ج٤، ص٧١١.

(١٤) هنا تنتهي الدِّيباجة في: الذخيرة، ق٣، م٢، ص ٨٩٣؛ وقلائد العقيان ، ج٤، ص٧١١؛ ولاحق الوجيه: اسمان يطلقان على عِدَّةِ جيادٍ، انظر: الأسود الغندجاني، أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، ص ٢١٠، ٢٥٥.

(١٥) هنا تنتهي الدِّيباجة في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٠٣. الخطَّار وأعوج: فرسان مشهوران بالعتق الكرم، انظر: الأسود الغندجاني، أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، ص ٤٩، ٩٢.

(الكامل)

وَأَقَبَّ[1] مِنْ آلِ[2] الوَجِيْـهِ وَلاحِـقِ　　　قَيْـدِ الْعُيُـونِ وَغَايَـةُ المُتَمَثِّـلِ[3]

مَلَكَ النَّـوَاظِرَ وَالقُلُـوبَ بِحُـسْنِهِ[4]　　　فَمَتَـى تَـرِقُّ العَـيْنُ فِيْـهِ تَـسَهَّلِ

ذِي مَنْخَـرٍ رَحْـبٍ وَزَوْرٍ ضَـيِّقٍ　　　وَسَـمَاوَةٍ خِـصْبٍ وَأَرْضٍ مُمْحِـلِ

قَصُرَتْ لَـهُ تِـسْعٌ وَطَالَـتْ أَرْبَـعٌ　　　وَصَـفَتْ[5] ثَـلاثٌ مِنْـهُ لِلْمُتَأَمِّـلِ

وَتَـرَاهُ أَحْـيَاناً لِـعِزَّةِ نَفْـسِهِ　　　يَرْنُـو -بِـلا قَبَـلٍ- بِعَـيْنِ الأَقْبَـلِ

وَكَـأَنَّمَا سَـالَ الظَّـلامُ بِمَتْنِـهِ　　　وَبَـدَا الـصَّبَاحُ بِوَجْهِـهِ المُتَهَلِّـلِ

وَكَأَنَّ رَاكِبَـهُ عَلَـى ظَهْـرِ الـصَّبَا　　　مِنْ سُـرْعَةٍ أَوْ فَـوقَ ظَهْـرِ الـشَّمْأَلِ

وَلَهُ[6] يَصِفُ فَرَساً لِلظَّافِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عُبَيْـدِ اللهِ بـنِ ذِي النُّـونِ رَحِمَـهُ اللهُ:

(الطويل)

وَأَدْهَـمَ مِـنْ آلِ الوَجِيْـهِ وَلاحِـقٍ　　　لَـهُ اللَّيْـلُ لَـونٌ وَالـصَّبَاحُ حُجُـولُ

تَحَيَّـرَ مَـاءُ الْحُـسْنِ فَـوقَ أَدِيمِـهِ　　　فَلَوْلا الْتِهَابُ الْحُـضْرِ[7] ظَـلَّ يَـسِيلُ

كَـأَنَّ هِـلالَ الفِطْـرِ[8] لاحَ بِوَجْهِـهِ　　　فَأَعْيُنُـنَا شَـوقَـاً إِلَـيْـهِ تَمِيـلُ

كَـأَنَّ الرِّيَـاحَ العَاصِـفَاتِ تُقِلُّـهُ　　　إِذَا ابْتَـلَّ مِنْـهُ مَحْـزِمٌ[9] وَتَلِيـلُ[10]

إِذَا الظَّافِرُ[11] المَيْمُوْنُ فِيْ مَتْنِـهِ عَـلاَ　　　بَدَا الزَّهْوُ فِـيْ العِطْفَـيْنِ مِنْـهُ يَجُـولُ

فَمَـنْ رَامَ تَـشْبِيْهاً لَـهُ قَـالَ مُـوْجِزاً　　　وَإِنْ كَانَ وَصْفُ الْحُسْنِ مِنْـهُ يَطُـولُ:

---

(1) الأَقَبُّ: الضامر البطن، ابن منظور، لسان العرب، مادة قبب.

(2) في: الذخيرة :" نسل"، ق3، م2، ص 893.

(3) في: الذخيرة :" المتأمل"، ق3، م2، ص 893.

(4) في: الذخيرة :" بحبه"، ق3، م2، ص 893.

(5) في: الذخيرة :" وزكت"، ق3، م2، ص 893.

(6) وردت الدِّيباجة والشعر في أزهار الرياض، ج3، ص108-109؛ في قلائد العقيان: وقال يصف فرساً، ج4، ص729؛ وفي: خريدة القصر: وله في وصف فرس، ج3، ص482.

(7) في: أزهار الرياض: "الحُضر"، ج3، ص108؛ الحُضْر: ارتفاع الفرس في عدوه، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حضر.

(8) في: خريدة القصر: "الأفق"، ج3، ص482.

(9) المَحْزِم: مَحْزِمُ الدَّابة: ما جَرَى عليه حِزَامُها، انظر: ابن منظور، لسان العرب، حزم.

(10) التَّلِيل: العنق، انظر: ابن منظور، لسان العرب، تلَل.

(11) في: خريدة القصر: "إذا عابد الرحمن"، ج3، ص482.

هُـوَ الْفَلَـكُ الـدَّوَّارُ فِـيْ صَـهَوَاتِهِ ... لِـبَدْرِ الدَّيَـاجِي مَطْلَـعٌ وَأُفُـولُ

وَمَا[1] أَبْدَعَ قَوْلَهُ فِيْ وَصْفِ الرَّاحِ، وَالحَضِّ عَلَى النَّبْذِ لِلهُمُوْمِ وَالاطِّرَاحِ، بِمُعَاطَاةِ كُؤُوْسِهَا، وَمُوَالاةِ تَأْنِيسِهَا، وَمُعَاقَرَةِ دِنَانِهَا[2]، وَاهْتِصَارِ ثِمَارِ الفُتُوَّةِ وَأَفْنَانِهَا[3]، وَالإِعْرَاضِ عَنِ الأَيَّامِ وَأَنْكَادِهَا، وَالْجَرْيِ فِيْ مَيْدَانِ الصَّبْوَةِ[4] إِلَى أَبْعَدِ آمَادِهَا (الكامل):

سَلِّ الهُمُـوْمَ إِذَا نَبَـا زَمَـنٌ ... بِمُدَامَـةٍ صَـفْرَاءَ كَالـذَّهَبِ

مُزِجَتْ فَمِنْ دُرٍّ عَلَـى ذَهَـبٍ ... طَافٍ وَمِنْ حَبَبٍ عَلَـى لَهَـبِ

وَكَـأَنَّ سَـاقِيَهَا يُثِيْـرُ شَـذًا ... مِسْكٍ لَـدَى الأَفْـوَامِ مُلْتَهِـبِ

وَللهِ هُوَ! فَقَدْ نَدَبَ إِلَى المَنْدُوْبِ، وَذَهَبَ إِلَى مُدَاوَاةِ القُلُوْبِ مِنَ الذُّنُوْبِ، وَإِبْرَائِهَا مِنَ الآلامِ، وَإِهْدَائِهَا كُلَّ تَحِيَّةٍ وَسَلامٍ، وَإِبْهَاجِهَا بِآصَالٍ وَبُكَرٍ، وَعِلاجِهَا مِنْ هُمُوْمٍ وَفِكَرٍ، فِيْ زَمَنٍ حَلْيَ عَاطِلُهُ، وَجُلِّي فِيْ أَحْسَنِ الصُّوَرِ بَاطِلُهُ، وَنَفَقَتْ مُحَالاتُهُ، وَطَبَّقَتْ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ اسْتِحَالاتُهُ، فَلَبِيْبُهُ[5] كَاسِدٌ، وَذَنِيْبُهُ مُسْتَأْسِدٌ، وَأَحْفَاشُهُ[6] تَنَمَّرَ، وَبَغَاثُهُ قَدِ اسْتَنْسَرَ، فَلا اسْتِرَاحَةَ إِلاَّ فِيْ مُعَاطَاةِ حُمَيَّا، وَمُؤَاخَاةِ وَسِيْمِ المُحَيَّا.

وَقَدْ كَانَ ابْنُ عَمَّارٍ ذَهَبَ مَذْهَبَهُ، وَفَضَّضَهُ بِالإِبْدَاعِ وَذَهَّبَهُ، حِيْنَ[7] دَخَلَ سَرَقُسْطَةَ، وَرَأَى[8] غَبَاوَةَ أَهْلِهَا، وَتَكَاثُفَ جَهْلِهَا، وَشَاهَدَ مِنْهُم مَنْ لا يَعْلَمُ[9] مَعْنًى وَلا فَصْلاً، وَوَاصَلَ مَنْ لا يَعْرِفُ قَطْعاً وَلا وَصْلاً[10]، فَأَقْبَلَ عَلَى رَاحَةٍ يَتَعَاطَاهَا، وَعَكَفَ عَلَيْهَا مَا تَعَدَّاهَا وَلا تَخَطَّاهَا، حَتَّى بَلَغَهُ أَنَّهُمْ نَقَدُوا[11] مُعَاقَرَتَهُ لِلعُقَارِ، وَجَالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فِيْ تَوْبِيْخِهِ مَجَالَ ذِيْ الفَقَارِ[12]، فَقَالَ:

---

(١) وردت الديباجة والشعر في أزهار الرياض، ج٣، ص١٠٩، ونفح الطيب، ج١، ص٦٤٥-٦٤٦، كما وردت الديباجة مع اختلاف كبير والبيت الأول فقط في قلائد العقيان: ج٤، ص٧١٣.

(٢) في قلائد العقيان: "وموالاة سُلُوْها وتأنيسها، ومُعاقرة إدمانها، ومُباكَرة دنانها"، ج٤، ص٧١٣.

(٣) سقطت من قلائد العقيان، ج٤، ص٧١٣.

(٤) في: قلائد العقيان: "والجَرْيِ في الصَّبْوةِ"، ج٣، ص٧١٣.

(٥) في: نفح الطيب: "فلبثه"، ج١، ص٦٤٦.

(٦) في: نفح الطيب: "حفاثه"، الحُفَّاث: حيّة ضخم، عظيم الرأس، تنفخ ولا تؤذي. انظر: ابن منظور، لسان العرب، حفث.

(٧) الخبر "ودخل سرقسطة... فقال"، في قلائد العقيان مع اختلاف في بعض الجمل والعبارات، ج٤، ص٢٥٦.

(٨) في: قلائد العقيان: "فرأى"، ج١، ٢٥٦.

(٩) في: قلائد العقيان: "وحاضر من لا يعرف معنًى ولا فصلاً"، ج١، ص٢٥٦.

(١٠) في: قلائد العقيان: "وواصل منهم من لا يعلم قطعاً ولا وصلاً"، ج١، ص٢٥٦.

(١١) في: أزهار الرياض: "نقموا"، ج٣، ص١١٠.

(١٢) في: قلائد العقيان: "عكف على راحه مُعَاقِراً، وعطف بها على جيش الوحشة عاقراً، فبلغه أنّهم نقدوا عليه شُرْبَهُ، وفلّوا بالملام غَرْبَهُ، ج١، ص٢٥٦؛ وذو الفقار: اسم سيف النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان فيه حفر صغار حسان. انظر: ابن منظور، لسان العرب، فقر.

(الطويل)

نَقَمْـتُمْ عَلَـيَّ الـرَّاحَ أُدْمِــنُ شُـرْبَهَا   وَقُلْتُمْ: فَتَـى رَاحٍ[1] ولَـيْسَ فَتَـى مَجْـدِ

وَمَنْ ذَا الَّذِيْ قَادَ الْجِيَادَ إِلَـى الـوَغَى   سِوَايَ وَمَنْ أَعْطَى كَثِيْـراً[2] ولَـمْ يُكْـدِ؟

فَـدَيْتُكُمْ لَـمْ تَفْهَمُـوا[3] الـسِرَّ إِنَّمَـا   قَلَيْـتُكُمْ جُهْـدِي فَأَبْعَـدْتُكُمْ جُهْـدِي

وَدُعِيَ[4] لَيْلَةً إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ احْتَشَدَ فِيْهِ[5] الأُنْسُ وَالطَّرَبُ، وَقَرَعَ السُّرُوْرُ نَبْعَةَ بِالغَرْبِ[6]، وَلاحَتْ نُجُوْمُ أَكْوَاسِهِ، وَفَاحَ نَسِيْمُ رَنْدِهِ وَآسِهِ، وَأَبْدَتْ صُدُوْرُ أَبَارِيْقِهِ أَسْرَارَهَا، وَضَمَّتْ عَلَيْهِ المَجَالِسُ أَزْرَارَهَا، وَالرَّاحُ يُدِيْرُهَا أَهْيَفُ وَأَوْطَفُ[7]، وَالأَمَانِي[8] تُجْنَى وَتُقْطَفُ، فَقَالَ (الكامل):

يَا رُبَّ لَيْلٍ قَـدْ هَتَكْـتُ حِجَابَـهُ   بِمُدَامَــةٍ[9] وَقَّــادَةٍ كَالْكَوْكَــبِ[10]

يَسْعَى بِهَا أَحْوَى الجُفُوْنِ[11] كَأَنَّهَا   مِـنْ خَـدِّهِ وَرُضَـابِ فِيْـهِ الأَشْـنَبِ

بَدْرَانِ: بَدْرٌ قَـدْ أَمِنْـتُ غُرُوْبَـهُ   يَـسْعَى بِبَـدْرٍ جَـانِحٍ لِلْمَغْـرِبِ

فَإِذَا نَعِمْتَ بِرَشْفِ بَـدْرٍ غَـارِبٍ   فَانْعَمْ بِرَشْـفَةِ طَـالِعٍ[12] لَـمْ يَغْـرُبِ

حَتَّى تَرَى زُهْـرَ النُّجُـوْمِ كَأَنَّهَـا   حَوْلَ المَجَرَّةِ رَبْرَبٌ[13] فِـيْ مَـشْرَبِ

---

(١) في: قلائد العقيان: "فتى لَهْو"، ج١، ص٢٥٦.

(٢) في: أزهار الرياض: "الكثير"، ج٣، ص١١٠. وقوله: "ولَمْ يُكْدِ"، مأخوذ من قوله تعالى: "وأعطى قليلاً وأكـدى"، سـورة النجم، آية: ٣٤.

(٣) في: قلائد العقيان: "تعلموا"، ج١، ص٢٥٦.

(٤) الخبر والشعر: وردا في أزهار الرياض، ج٣، ص١١٠؛ ووردت الفقرة "وذعي ليلة إلى مجلس... فقال" مع اخـتلاف يسير والبيت الأول في: قلائد العقيان، ج٤، ص٧١٠. ونسب ابن بسام في الذخيرة هذا الشعر إلى أبي الحسن علي بن السيد شقيق المترجم، ق٣، م١، ص٨٩٢؛ كما نسبه المقري في نفح الطيب إلى أبي الحسن علي بن السيد أيـضاً، مـع اختلاف يسير في بعض الكلمات، على الرغم من أنه أثبتها منسوبة إلى ابن السيد نفسه في الكتاب نفسه، ج١، ص ٦٤٦.

(٥) في: قلائد العقيان: "به"، ج٤، ص٧١٠.

(٦) في: قلائد العقيان: و"قرع فيه نبعُ السرور بالغرب"، ج٤، ص٧١٠.

(٧) في: قلائد العقيان: "يديرها أوطفا"، ج٤، ص٧١٠.

(٨) في: قلائد العقيان: "وزهر الأماني"، ج٤، ص٧١٠.

(٩) في: الذخيرة: "بزجاجة"، ق٣، م٢، ص٨٩٢.

(١٠) هنا نهاية الخبر والشعر في قلائد العقيان، ج٤، ص٧١٠.

(١١) في: الذخيرة: "ساق أغر"، ق٣، م٢، ص٨٩٢.

(١٢) في: الذخيرة: "آخر"، ق٣، م٢، ص٨٩٢.

(١٣) الرَّبرب: القطيع من بقر الوحش أو من الظِّباء لا واحد له، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ربرب.

وَاللَّيلُ مُنْحَفِـزٌ[١] يَطِيـرُ غُرَابُـهُ وَالـصُّبْحُ يَطْـرُدُهُ بِبَـازٍ أَشْـهَبِ

وَقَالَ[٢] يَمْدَحُ بَعْضَ الأَعْيَانِ، وَهِيَ قَصِيدَةٌ اشْتَمَلَتْ عَلَى المَحَاسِنِ اشْتِمَالَ اللَّيْلِ، وانْفَرَدَتْ بِالْمَحَاسِنِ انْفِرَادَ سُهَيْلٍ، وَدَرَّتْ فِيْهَا أَخْلافُ الإِبْدَاعِ، وَزُرَّتْ عَلَيْهَا جُيُوبُ الانْقِطَاعِ، وَأَفْصَحَ فِيْهَا لِسَانُ الإِحْسَانِ، وَسَحَّ عَلَيْهَا عَنَانُ الافْتِنَانِ، فَجَاءَتْ بِالإِغْرَابِ مَحْفُوفَةً، وَلاحَتْ كَالْخَرِيْدَةِ المَزْفُوفَةِ.

وَسَمِعْتُ السَّيِّئَ الاعْتِقَادِ[٣]، الغَبِيَّ الْفَهْمِ وَالانْتِقَادِ، الْكَافِرَ الْمُلْحِدَ، المُنَافِرَ لِمَنْ يُعَظِّمُ اللهَ وَيُوَحِّدُهُ، الَّذِيْ مَا نَطَقَ مُتَشَرِّعاً، وَلا رُمِقَ مُتَوَرِّعاً، وَلا أَقَرَّ بِبَارِيهِ، وَلا قَرَّ عَنْ جَرْيِهِ فِيْ مَيْدَانِ الْغَيِّ وَتَبَارِيْهِ، يَدَّعِي مَدْحَهَا، وَيَقُوْلُ: إِنَّهُ إِلَيْهِ بَعَثَ نَفْحَهَا، وَإِنَّهُ الَّذِي افْتَضَّ عُذْرَتَهَا، وَقَطَفَ زَهْرَتَهَا. وَحَاشَا لِقَائِلِهَا أَنْ يَمْدَحَ بِهَا المَذْمُوْمَ، وَيَنْضَحَ بِكَوْثَرِهَا نَفْحَ سَمُوْمٍ، أَوْ يُشَرِّفَ بِهَا وَضِيْعاً، وَيُرْضِعَ ثَدْيَهَا مَنْ غَدَا لِلُؤْمِ رَضِيْعاً، وَهِيَ: (الطويل)

أَمَـا إِنَّـهُ لَـوْلا الـدُّمُوْعُ الْهَوَامِـعُ لَمَا بَـانَ مِنِّـيْ مَـا تُجِـنُّ الأَضَـالِعُ

وَكَمْ هَتَكَتْ سِتْرَ الهَـوَى أَعْـيُنُ الْمَهَـا وَهَاجَتْ لِيَ الـشَّوْقَ الـدِّيَارُ الْبَلاقِـعُ

خَلِيْلَـيَّ مَـالِي كُلَّمَـا لاحَ بَـارِقٌ تَلَظَّى الْحَشَا وَارْفَضَّ مِنِّـيْ المَـدَامِعُ

هَلِ الأُفْقُ فِـيْ جَنْبِـيَّ بِـالْبَرْقِ لامِـعٌ أَمِ المُزْنُ فِيْ جَفْنَـيَّ بِـالوَدْقِ هَـامِعُ

فَفِيْ الْقَلْبِ مِنْ نَارِ الـشُّجُوْنِ مَـصَايِفٌ وَفِيْ الْخَدِّ مِنْ مَـاءِ الـشُّؤُوْنِ مَرَابِـعُ

وَمَا هَـاجَ هَـذَا الـشَّوْقَ إِلاَّ مُهَفْهَـفٌ هُوَ البَدْرُ أَوْ بَدْرُ الـدُّجَى مِنْـهُ طَـالِعُ

إِذَا غَـابَ يَوْمـاً فَـالْقُلُوبُ مَغَـارِبٌ وَإِنْ لاحَ يَوْمـاً فَـالْجُيُوبُ مَطَـالِعُ

يُـضَرِّجُ خَدَّيْـهِ الْحَيَـاءُ كَأَنَّمَـا بِخَدَّيْـهِ مِـنْ فَتْـكِ الجُفُـونِ وَقَـائِعُ

رَمَانِيَ عَـنْ قَـوْسِ المَحَـاجِرِ لَحْظُـهُ بِسَهْمٍ غَدَا مِـنْ مُهْجَتِـي وَهْـوَ وَادِعُ

وَمَـا زِلْـتُ مِـنْ أَلْحَاظِـهِ مُتَوَقِّيـاً وَلَكِنَّـهُ مَـا حُـمَّ لا بُـدَّ وَاقِـعُ

يَـرِقُّ فُتُـوْرُ اللَّحْـظِ مِنْـهُ كَأَنَّـهُ إِلَى قَلْبِهِ مِـنْ قَـسْوَةِ الْهَجْـرِ شَـافِعُ

كَمَـا رَقَّ بِـالآدَابِ طَبْـعُ مُحَمَّـدٍ فَحَاكَتْ لَمَى الأَحْبَـابِ مِنْـهُ الطَّبَـائِعُ

رَخِيْمُ حَوَاشِـي الطَّـرْفِ حُلْـوٌ كَأَنَّمَـا سَـجَايَاهُ أَيَّـامُ الـسُّرُوْرِ الرَّوَاجِـعُ

---

(١) منحفز: الحفز: حثّ الشيء من خلفه سوقاً وغير سوق، انظر: ابن منظور، لسان العرب، حفز.

(٢) النص من وقال يمدح حتى نهاية القصيدة في أزهار الرياض، ج٣، ص١١٠-١١٢.

(٣) لعله الفقيه أبو بكر محمد بن الحديدي، وزير المأمون بن ذي النّون، وكان يتولّى النظر في المظالم لديه، وقد قتل سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م)، في قصر القادر يحيى حفيد المأمون، انظر أخباره في: ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٥٠-١٥١.

أَبَا بَكْرٍ، اسْتَوْفَيْتَ زُهْرَ مَحَاسِنٍ تُنَافِسُهَا زُهْرُ النُّجُومِ الطَّوَالِعُ
قَدَحْتُ زِنَاداً مِنْ ذَكَائِكَ لَمْ يَزَلْ يُنِيرُ فَتَعْشَى البَارِقَاتُ اللَّوَامِعُ
وَمَا ذَاكَ عَنْ نَيْلٍ لَدَيْكَ رَجَوْتُهُ فَيَصْدُقَ ظَنٌّ أَوْ يُكَذَّبَ طَامِعُ
وَلا أَنَا مِمَّنْ يَرْتَضِي الشِّعْرَ خُطَّةً فَتَجْذِبَهُ نَحْوَ المُلُوكِ المَطَامِعُ
وَلَكِنَّ قَلْباً بَيْنَ جَنْبَيَّ قَدْ غَدَا يُجَاذِبُنِي فِيكَ الهَوَى وَيُنَازِعُ
طَوَى لَكَ مِنْ مَحْضِ الوِدَادِ كَمَائِناً تَبَدَّتْ لَهَا فَوْقَ اللِّسَانِ طَلائِعُ
أَأَزْعُمُ فِي نَظْمِ البَدِيعِ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ السَّبْقُ فِيهِ وَالوَرَى لَكَ تَابِعُ
وَأَيُّ مَقَالٍ لِي وَقَوْلُكَ سَائِرٌ وَأَيُّ بَدِيعٍ لِيَ وَمِنْكَ البَدَائِعُ

وَقَالَ يَتَغَزَّلُ، وَتَصَرَّفَ فِيهِ تَصَرُّفَ غَيْلانِ مَي[1]، وَوَصَفَ كُلَّ جَوَّاءٍ وَحَيٍّ، وَذَكَرَ العِشْقَ، وارْتَادَ الإبْدَاعَ، حتَّى رَعَى لَهُ فِقَرَهُ[2]،، فَأَجَادَ مَعَانِيَهُ[3]، وَأَشَادَ مَبَانِيَهُ (الطويل):

تَأَوَّبَهُ مِنْ هَمِّهِ مَا تَأَوَّبَا فَبَاتَ عَلَى جَمْرِ الأَسَى مُتَقَلِّبَا
مَرَتْ[4] مُزْنَ عَيْنَيْهِ غَدَاةَ تَحَمَّلُوا عَوَاصِفُ رِيحِ الشَّوْقِ حَتَّى تَصَبَّبَا
دُمُوعٌ هَتَكْنَ السِّتْرَ عَنْ مُضْمَرِ الجَوَى وَأَبْدَيْنَ مِنْ سِرِّ الهَوَى مَا تَغَيَّبَا
خَلِيلَيَّ مَالِي كُلَّمَا لاحَ بَارِقٌ تَذَكَّرْتُ بَرْقاً بِالعَقِيقِ[5] وَزَيْنَبَا
أُؤَنِّسُ بِالنَّائِينَ نَوْماً مُشَرَّداً وَأُطْمِعُ بِالثَّاوِينَ قَلْباً مُعَذَّبَا
وَمَنْ لِيَ بِرَدِّ الخِلِّ إِذْ جَدَّتِ النَّوَى بِهِ وَبِوَصْلِ الحَبْلِ أَنْ يَتَقَضَّبَا[6]
أَفِي كُلِّ حِينٍ أَمْتَرِي غَرْبَ[7] مُقْلَةٍ أَبَى الوَجْدُ إِلاَّ أَنْ تَجُودَ فَتَغْرُبَا

(١) غيلان مي: يقصد الشاعر ذا الرمة غيلان بن عقبة بن بُهيس، أحد فحول شعراء الطبقة الثانية في العصر الأموي، وأكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين، امتاز بإجادة التشبيه، وهو أيضاً أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته مَيّ (ميَّة) بنت مقاتل بن طَلَبة المنقري، وكان كثير التشبيب بها في شعره، فاشتهر بها، توفي سنة ١١٧هـ/٧٣٥م. انظر ترجمته في: ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ج٢، ص٥٥٨؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٤، ص١١-١٧.

(٢) في: **أزهار الرياض**:" حتّى غدا به مصترَهُ"، ج٣، ص١١٢.

(٣) في: الأصل:"فيه"، والتصحيح من **أزهار الرياض**، ج٣، ص١١٢.

(٤) يقال: مرى الظلامُ النَّاقَةَ مَرياً: مسح ضرعها لتدرَّ اللَّبن، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مري.

(٥) العقيق: واد من أودية الحجاز، وهو يذكره هنا جرياً على عادة الشعراء المتقدّمين، انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦-٤١٧.

(٦) التقضّب: القطع، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، قضب.

(٧) غَرْب: دلو عظيمة تتخذ من جلد الثور، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، غرب.

إِذَا عَنَّ لِـيْ ظَبْـيٌ بِـوَجْرَةَ شَـادِنٌ[1] ... تَذَكَّرْتُ مَـنْ عَنَّـى الفُـؤَادَ وَعَـذَّبَا
وَأَرْتَاحُ لِـلأَرْوَاحِ مِـنْ نَحْـوِ أَرْضِـهَا ... وَتَثْنِي عَنَـانِي لِلـصَّبَا نَفْحَـةُ الـصَّبَا
وَلَوْلا الْتِهَابُ الـشَّوْقِ بَـيْنَ جَـوَانِحِي ... لأَمْـرَعَ خَـدِّي بِالـدُّمُوْعِ وَأَعْـشَبَا
أَلا قَاتَـلَ اللهُ الهَـوَى كَيْـفَ قَـادَنِي ... إِلَى مَصْرَعِي طَوْعاً وَقَدْ كُنْتُ مُصْعَبَا[2]

وَمَـا كُنْـتُ أَخْـشَى أَنْ أَبِيْـتَ مُعَـذَّبَا ... بِعَذْبِ رُضَابٍ مَنْ حَمَى الثَّغْـرَ أَشْـنَبَا
وَخَـدٍّ أَلاَقِـي دُوْنَ شَـمِّ رِيَاضِـهِ ... مِنَ اللَّحْظِ هِنْـدِيّاً وَلِلـصُّدْغِ عَقْرَبَـا
أَجِـدُّكَ لَـمْ تُبْـصِرْ تَـأَلُّقَ بَـارِقٍ ... يُجِدُّ نَشَاطاً فِـيْ ذُرَى الأُفْـقِ أَهْـدَبَا
إِذَا مَا بَدَا فِـيْ الجَـوِّ أَحْمَـرَ سَـاطِعاً ... حَـسِبْتُ الظَّـلامَ آبْنُوسـاً مُـذَهَّبَا
كَـأَنَّ الرِّيَـاضَ الحُـوَّ غِـبَّ سَـمَائِهِ ... تَـرَدَّيْنَ وَشْـيَ العَبْقَـرِيِّ المُخَلَّبَـا[3]
كَأَنَّ الشَّقِيْقَ الْغَـضَّ وَالْفَجْـرُ سَـاطِعٌ ... خُـدُوْدٌ زَهَاهَـا الْحُـسْنُ أَنْ تَتَنَقَّبَـا
تَمَتَّـعْ بِرَيْعَـانِ الـشَّبَابِ وَظِلِّـهِ ... فَـلا بُـدَّ يَوْمـاً أَنْ يَبِيْنَـا وَيَـذْهَبَا
فَمَـا العَـيْشُ إِلاَّ أَنْ تَـرُوْحَ وَتَغْتَـدِي ... مُحِبّـاً بَـرَاهُ سُـقْمُهُ أَوْ مُحَبَّبَـا

وَكَتَبَ[4] إِلَى الْكَاتِبِ أَبِي الْحَسَنِ رَاشِد[5] يَسْتَدْعِيَهُ إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ لاحَتْ شُمُوْسُ مُدَامِهِ، وارْتَاحَتْ نُفُوْسُ نِدَامِهِ، وَتَأَوَّدَتْ تَأَوُّدَ الغُصُوْنِ قُدُوْدُ خُدَّامِهِ: (الرَّجز)

عِنْدِيْ مَشْكُوْدٌ مِـنَ الْخَمْـرِ[6] عَبِـقْ
فِيْـهِ مُنَـى مُـصْطَبِحٍ وَمُغْتَبِـقْ

(١) وَجْرة: اسم موضع في بلاد العرب على الطريق بين مكة والبصرة، على ثلاث مراحل من مكة، كثير الظّباء. انظر: البكري، معجم ما استعجم ، ج٣، ص١٣٧٠؛ الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص٦٠٨.

(٢) المُصعب: الفحل الذي يودع من الركوب والعمل للفحلة أو الّذي لم يمسسه حبل ولم يركب، انظر: ابن منظور، لسان العرب، صعب.

(٣) المخلّب: الكثير الوشي، ابن منظور، **لسان العرب**، خلب.

(٤) وردت الديباجة والقصيدة في: **أزهار الرياض**، ج٣، ص١١٣-١١٤؛ **والذخيرة** (مع اختلاف يسير)، وقد قدم لها بقوله:" وأنشدني أيضاً لنفسه يستدعي بعض إخوانه، يسمى راشداً"، ق٣، م٢، ص٨٩٢.

(٥) هو أبو الحسن راشد بن عريف، كان أحد كُتّاب المأمون يحيى بن ذي النون، تخرّج على ابن حزم وابن شرف القيرواني، وكان أديباً شاعراً كاتباً بليغاً، انظر أخباره في: **خريدة القصر**، ج٢، ص١٦٤؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٣٢؛ ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص٦٨؛ المقّري، **نفح الطيب**، ج٣، ص٤٢٠.

(٦) في: **الذخيرة**:" عندي مسكوب من الراح"، ق٣، م٢، ص٨٩٢. الشكد: ما كان موضوعاً في البيت من الطعام والشراب، وشكد الرجل: أعطاه؛ انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، شكد.

يَحْكِي شَذَا المِسْكِ إِذَا المِسْكُ فُتِقْ
كَأَنَّهُ مِنْ خُلْقِكَ الحُلْوِ خُلِقْ
كَأَنَّمَا كُؤُوسُهُ تَحْتَ الغَسَقْ
فِيْ رَاحَةِ السَّاقِيْ نُجُومٌ تَأْتَلِقْ
تَخَالُهَا وَهْيَ تَلَظَّى كَالحَرَقْ
أَحْشَاءَ صَبٍّ مُلِئَتْ[1] مِنَ الحَرَقْ
تَرَى لَدَى المَزْجِ إِذَا المَاءُ انْدَفَقْ
فِيْهَا حَبَاباً لاحَ كَالدُّرِّ النَّسَقْ[2]
وَأَنْتَ أُنْسِي وَالمُفَدَّى بِالحَدَقْ
فَاطْلَعْ طُلُوْعَ القَمَرِ التَّمِّ اتَّسَقْ
فِيْ يَوْمِنَا هَذَا إِذَا الظُّهْرُ نَطَقْ
يَا رَاشِداً إِذَا دُجَى الغَيِّ غَسَقْ[3]
وَمَاجِداً قَدْ حَازَ فِيْ السَّبْقِ السَّبَقْ
للهِ مَعْنَى طَابَقَ اسْماً لَكَ حَقْ
تَوَافَقَا فِيْكَ إِذَا الاسْمُ اتَّفَقْ

فَرَاجَعَهُ رَاشِدٌ: (الرَّجز)

لَبَّيْكَ مِنْ دَاعٍ إِلَى العَيْشِ الغَدَقْ
فِيْ سَجْسَجٍ مِنْ ظِلِّهِ غَضُّ الوَرَقْ
نُدِيْرُ صَفْوَ الرَّاحِ صِرْفاً قَدْ عَتَقْ
وَشَبْهَهَا لَوْناً وَطَعْماً وَعَبَقْ
وَكَانَ يُجْلَى فِيْ مُلاءٍ مِنْ فَلَقْ
تَحْسُدُهُ فِيْ حُسْنِهِ بِيْضُ السَّرَقْ
ثُمَّ كَسَاهُ السُّهْدُ ثَوْباً مِنْ شَفَقْ

(١) في: الذخيرة:" ملهب"، ق٣، م٢، ص٨٩٢.
(٢) في: الذخيرة:" انتسق"، ق٣، م٢، ص٨٩٢.
(٣) في: الذخيرة:" سبق"، ق٣، م٢، ص٨٩٢.

بَلْ مِنْ إيَاةِ الشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ رَنَقْ
كَأَنَّهُ مِنْ خَدِّ مَنْ أَهْوَى اسْتَرَقْ
كَأَنَّهُ بِرِيقِهِ الْعَذْبِ فُتِقْ
فَجَاءَ يَشْفِي مِنْ جَوَى وَمِنْ حُرَقْ
أَحْلَى مِنَ الأَمْنِ أَتَى بَعْدَ الفَرَقْ
رَضِيتُهُ مُصْطَبَحاً وَمُغْتَبَقْ
عَلَى رِيَاضِ أَدَبٍ ذَاتِ أَنَقْ
أَجْنَيْنَ مَا أَهْوَى وَأَذْهَبْنَ الْقَلَقْ
عِنْدَ فَتًى نَدْبٍ عَبْقَرِيِّ الخُلُقْ
مُؤْتَزِرٍ بِالمَكْرُمَاتِ مُنْتَطِقْ
إِنْ قَالَ قَدْ سُدْتُ الوَرَى قِيلَ صَدَقْ

وَقَالَ يَصِفُ مَجْلِسَ أُنْسٍ[1]، وَتَصَرَّفَ فِيْ وَصْفِ سُقَاتِهِ[2]، وإِقْبَالِ الصُّبْحِ لِمِيقَاتِهِ، وَمَدْحِ الرَّاحِ[3] بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهَا، وَطُلُوعِ الفَجْرِ هَازِماً لِدُجَى لَيْلَتِهِمْ وَظَلْمَائِهَا[4]، وَإِيقَاظِ أَصْحَابِهِ مِنْ نَوْمِهِمْ، وَتَرْغِيبِهِ لَهُمْ فِيْ اصْطِبَاحِ يَوْمِهِمْ[5] (الرَّمل):

صَاحِ نَبِّهْ كُلَّ صَاحٍ يَصْطَبِحْ فَضْلَةَ الزِّقِّ الَّذِيْ كَانَ اغْتَبَقْ
قَهْوَةً تَحْكِي الَّذِيْ فِيْ أَضْلُعِيْ مِنْ جَوَى الحُبِّ وَمِنْ لَفْحِ الحُرَقْ
بِيَدَيْ سَاقٍ تَرَى فِيْ طَوْقِهِ بَدْرَ تَمٍّ قَدْ تَجَلَّى فِيْ غَسَقْ
خِلْتُهَا إِذْ غَرَبَتْ فِيْ ثَغْرِهِ شَمْسُهَا أَبْقَتْ بِخَدَّيْهِ شَفَقْ
أُفْرِغَ الْمَاءُ عَلَيْهَا فَحَكَتْ ذَائِبَ الإِبْرِيزِ[6] أَوْ ذَوْبَ وَرِقْ
إِنَّ مِسْكَ اللَّيْلِ قَدْ أَعْقَبَهُ مِنْ سَنَى الإِصْبَاحِ كَافُورٌ عَبِقْ

(١) الخبر والشعر في أزهار الرياض، ج٣، ص١١٥-١١٦، وفي: قلائد العقيان مع اختلاف في بعض الجمل، والبيت الأول فقط، ج٤، ص٧١٠-٧١١.

(٢) في: قلائد العقيان: "في وقت ميقاته"، ج٤، ص٧١٠.

(٣) في: قلائد العقيان: "وسمّى الخمر"، ج٤، ص٧١٠.

(٤) في: قلائد العقيان: "وأثنى عليها بآلائها"، ج٤، ص٧١٠.

(٥) في: قلائد العقيان: "ونبّه أصحابه من نومهم، ورغّبهم في اصطباح نومهم"، ج٤، ص٧١٠.

(٦) الإبريز: الذّهب الخالص، والورق والفضة المذهّبة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، برز.

فَكَـأَنَّ الْفَجْـرَ عَـيْنٌ فُجِّـرَتْ وَكَـأَنَّ اللَّيْـلَ زَنْجِـيٌّ غَـرِقْ
وكَـأَنَّ الأَنْجُـمَ الزُّهْـرَ مَهـىً رَاعَهُ السِّرْحَانُ صُبْحًا فَافْتَرَقْ

وَقَالَ فِيْ الزُّهْدِ، وَهُوَ غَرَضٌ قَدْ أَكْثَرَ الْقَوْلَ فِيْهِ، وَالضَّرَاعَةَ لِبَارِيْهِ، وَرَاشَ أَنْوَاعَهُ وَبَرَى، وَحَلَبَ فُنُونَهُ وَمَرَى، وَذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَرَعِهِ، وَصَفَاءِ مَنْهَلِهِ فِيْ التُّقَى وَمَشْرَعِهِ، فَكَثِيْراً مَا يُعْلِن بِهِ وَيُسِرُّ، وَيَطَّلِعُ عَلَى لِسَانِهِ مُتَمِّماً وَلا يَسْتَتِرُ[1] (الطويل):

إِلَهِـيَ إِنِّـي شَـاكِرٌ لَـكَ حَامِـدُ وَإِنِّـيْ لَسَاعٍ فِـيْ رِضَـاكَ وَجَاهِـدُ
وَإِنَّـكَ مَهْمَـا زَلَّـتِ النَّعْـلُ بِالْفَتَى عَلَـى العَائِـذِ التَّـوَّابُ بِالعَفْوِ عَائِـدُ
تَبَاعَـدْتَ مَجْـداً وَادَّنَيْـتَ تَعَطُّفـاً وَحِلْمـاً فَأَنْـتَ المُـدَّنِي الْمُتَبَاعِـدُ
وَمَا لِي عَلَـى شَـيْءٍ سِـوَاكَ مُعَـوَّلٌ إِذَا دَهِمَتْنِـي المُعْـضِلاتُ الشَّدَائِدُ
أَغَيْـرَكَ أَدْعُـو لِـيْ إِلَهـاً وَخَالِقـاً وَقَـدْ أَوْضَـحَ البُرْهَـانُ أَنَّـكَ وَاحِـدُ
وَقِـدْماً دَعَـا قَـوْمٌ سِـوَاكَ فَلَـمْ يَقُـمْ عَلَـى ذَاكَ بُرْهَـانٌ وَلا لاحَ شَـاهِدٌ
وَبِالفَلَـكِ الـدَّوَّارِ قَـدْ ضَـلَّ مَعْـشَرٌ وَلِلنَّيِّـرَاتِ السَّبْعِ دَاعٍ وَسَـاجِدُ
وَلِلْعَقْـلِ عُبَّـادٌ وَلِلنَّفْسِ شِـيْعَةٌ وَكُلُّهُـمْ عَـنْ مَـنْهَجِ الْحَـقِّ حَائِـدُ
وَكَيْفَ يَضِلُّ القَصْدَ ذُوْ الْعِلْـمِ وَالنُّهَـى وَنَهْجُ الهُدَى مُـذْ[2] كَـانَ نَحْـوَكَ قَاصِـدُ؟
وَهَلْ فِيْ الَّتِـيْ طَـاعُوا لَهَـا وَتَعَبَّـدُوا لأَمْـرِكَ عَـاصٍ أَوْ لِحَقِّـكَ جَاحِـدُ؟
وَهَلْ يُوْجَدُ المَعْلُـولُ مِـنْ غَيْـرِ عِلَّـةٍ إِذَا صَـحَّ فِكْـرٌ أَوْ رَأَى الرُّشْـدَ رَاشِـدُ؟
وَهَلْ غِبْتَ عَـنْ شَـيْءٍ فَيُنْكِـرَ مُنْكِـرٌ وُجُـوْدَكَ أَمْ لَـمْ تَبْـدُ مِنْـكَ الشَّوَاهِدُ؟
وَفِـيْ كُـلِّ مَعْبُـوْدٍ سِـوَاكَ دَلائِـلٌ مِـنَ الصُّنْعِ تُنْبِـي أَنَّـهُ لَـكَ عَابِـدُ
وَكُـلُّ وُجُـوْدٍ عَـنْ وُجُـوْدِكَ كَـائِنٌ فَوَاجِـدُ أَصْنَـافِ الـوَرَى لَـكَ وَاجِـدُ
سَرَتْ مِنْكَ فِيْهَـا وَحْـدَةٌ لَـوْ مَنَعْتَهَـا لأَصْبَحَتِ الأَشْـيَاءُ وَهْـيَ بَوَائِـدُ
وَكَمْ لَكَ فِيْ خَلْقِ الـوَرَى مِـنْ دَلائِـلٍ يَرَاهَـا الفَتَـى فِـيْ نَفْسِـهِ وَيُشَاهِدُ!
كَفَـى مُكْـذِباً لِلجَاحِـدِيْكَ[3] نُفُوْسُـهُمْ تُخَاصِـمُهُمْ إِنْ أَنْكَـرُوا وَتُعَانِـدُ

---

(١) التقدمة والشعر في: أزهار الرياض، ج٣، ص١١٦-١١٧، وقدّم للقصيدة في قلائد العقيان بقوله: وله في التوحيد والردّ على من قال بغيره"، ج٤، ص٧١٧-٧١٨.

(٢) في: أزهار الرياض: "من كان"، ج٤، ص١١٦.

(٣) في: قلائد العقيان: "للجاحدين"، ج٤، ص٧١٨.

وقَالَ[1] يَمْدَحُ الظَّافِرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عُبَيْدِ اللهِ بنِ ذِي النُّونِ، وَهُوَ مَدْحٌ طَابَقَ الْمَمْدُوحَ، وَوَصْفٌ شَاكَلَهُ كَالرَّوْضِ وَالْغَمَامِ السَّفُوحِ، فَنَظَمَ الدُّرَّ بِأَبْهَى جِيْدٍ، وقَلَّدَ الفَخْرَ أَعْلَى مُجِيْدٍ، وَوَضَعَ العِلْقَ فِيْ يَدَيْ مُمَيِّزِهِ، وَأَجْرَى الْجَوَادَ فِيْ مَيْدَانِ مُجَوِّزِهِ، لَمْ يَحْمِلْهُ إِلَى غَيْرِ مَوْضِعِ نَفَاقٍ، وَلا شَامَ بِهِ مُخِيْلَةً ذَاتَ إِخْفَاقٍ، فَإِنَّهُ كَانَ أَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ، وَأَمْضَى مِنَ اللَّيْثِ، وَأَذْكَى مِنَ الحُسَامِ، وَأَبْهَى مِنَ البَدْرِ لَيْلَةَ التَّمَامِ، حَتَّى خَاضَ هَوْلاً لَمْ يَسْرِ فِيْهِ إِلَى صُبْحٍ، وَسَلَكَ شِعْباً لَمْ يَنْشَ[2] مِنْهُ بِرِيْحٍ، فَصَافَحَ المَنَايَا، وَطَلَعَ لَهُ غَيْرَ مَعْهُوْدِ الثَّنَايَا، وَالشِّعرُ قَوْلُهُ: (الطويل)

لَعَلَّكُمُ بَعْدَ التَّجَنُّبِ وَالهَجْرِ   تُدِيْلُونَ مِنْ بُعْدٍ وَتَشْفُوْنَ مِنْ ضُرّْ

فَإِنَّ الَّذِيْ غَادَرْتُمُ بَيْنَ أَضْلُعِي   يَزِيْدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَسْتَشْرِيْ

وَلَمْ تُنْبِكُمْ عَنِّي النَّوَى غَيْرَ أَنَّكُمْ   رَحَلْتُم مِنَ الْجَفْنِ الْقَرِيْحِ إِلَى الفِكْرِ

وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أُسَائِلُ عَنْكُمُ   وَمَنْزِلُكُمْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ

وَأَسْتَعْطِفُ الأَيَّامَ فِيكم لَعَلَّهَا   تُعِيْدُ اللَّيَالِيَ السَّالِفَاتِ[3] كَمَا أَدْرِي

وَأَطْمَعُ مِنْهَا فِيْ الوِصَالِ وَلَمْ أَزَلْ   عَلِيْماً بِمَا يُؤْثِرْنَ مِنْ شِيَمِ الغَدْرِ

وَيُوْحِشُنِي حُسْنُ الزَّمَانِ لِنَأْيِكُمْ   وَإِنْ كُنْتُ مَأْنُوسَ الْجَوَانِحِ بِالذِّكْرِ

وَلَمْ أَنْسَ إِذْ صَدَّتْ كَمَا صَدَّ شَادِنٌ   غَرِيْرٌ مِنَ الرِّبْعِيِّ[4] أَوْجَسَ مِنْ ذُعْرِ

تَمِيْسُ كَمَا مَاسَ الْقَضِيْبُ عَلَى النَّقَا   وَتَرْنُو كَمَا أَغْضَى الشَّرِيْفُ مِنَ السُّكْرِ

وَمَا زِلْتُ صَبّاً بِالغَوَانِي تَصِيْدُنِي   ذَوَاتُ الثَّنَايَا الغُرِّ وَالأَوْجُهِ الزُّهْرِ

وَعِنْدِيْ أَحْشَاءٌ مُلِئْنَ صَبَابَةً   كَأَلْحَاظِ أَجْفَانٍ مُلِئْنَ مِنَ السِّحْرِ

وَلَوْعَةُ وَجْدٍ مَا تُفِيْقُ وَظَمْأَةٌ   لأَشْنَبَ مَعْسُوْلِ اللَّمَى طَيِّبِ النَّشْرِ

وَكَمْ فِيْ كِنَاسِ السَّمْهَرِيَّةِ مِنْ رَشاً   أَغَنَّ يُقِيْمُ العُذْرَ فِيْ الخَلْعِ لِلْعُذْرِ

وَأَهْيَفَ يَثْنِيْهِ النَّسِيْمُ إِذَا جَرَى   فَلَوْ شَاءَ مِنْ لِيْنٍ تَخَتَّمَ فِيْ الْخَصْرِ

وَسَاحِرَةِ الأَلْفَاظِ لَوْ أَنَّهَا دَعَتْ   بِنَغْمَتِهَا مَيْتاً لَلَبَّى مِنَ الْقَبْرِ

---

(١) الخبر والشعر في أزهار الرياض، ج٣، ص١١٧-١١٨.

(٢) يقال: نشي منه ريحاً: شمّها والياء هنا زائدة؛ انظر: ابن منظور، لسان العرب، نشي.

(٣) في أزهار الرياض: "السابقات"، ج٣، ص١١٨.

(٤) الرِّبْعيُّ: الحديث الميلاد، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ربع.

حَسَرَتْ قِنَاعَ السِّتْرِ فِيْهَا وَلَمْ يَكُنْ   يَطِيْبُ الهَوَى يَوْماً لِمَنْ دَانَ بِالسِّتْرِ

وَلله لَيْلٌ بِاللِّوَى أَبْعَدَ الجَوَى   وَقَرَّبَ نَحْراً مِنْ مَشُوْقٍ إِلَى نَحْرِ

فَمَا شِئْتَ مِنْ شَكْوَى أَرَقَّ مِنَ الهَوَى   وَمَا شِئْتَ مِنْ نَجْوَى أَلَذَّ مِنَ الْخَمْرِ

سَرَتْ لَمْ تَمَسَّ الطِّيْبَ عُجْباً بِحُسْنِهَا   وَقَدْ أَفْعَمَتْ عُرْضَ البَسِيْطَةِ بِالعِطْرِ

فَقُلْتُ: عُبَيْدُالله أَوْ نَجْلُهُ سَرَى   فَذَكَّرَنِي دَارِيْنَ[1] أَوْ بِتُّ بِالشِّحْرِ[2]

كَأَنَّ ضِيَاءَ الصُّبْحِ فِيْ اللَّيْلِ إِذْ سَرَى   بَصِيْرَةُ إِيْمَانٍ سَرَتْ فِيْ عَمَى كُفْرِ

كَأَنَّ مَهًى فِيْ الأُفْقِ رِيْعَتْ وَقَدْ بَدَا   لَهَا ذَنَبُ السِّرْحَانِ مِنْ وَضَحِ الْفَجْرِ

كَأَنَّ سَنَى الشَّمْسِ المُنِيْرَةِ إِذْ بَدَا   كَسَا وَرَقَ الإِصْبَاحِ ذَوْباً مِنَ التِّبْرِ

وَإِلاَّ فَوَجْهُ الظَّافِرِ المَلْكِ انْجَلَى   فَجَلَّى ظَلامَ النَّقْعِ فِيْ الْجَحْفَلِ الْمَجْرِ[3]

عَجِبْتُ لأَيَّامٍ تَدَاعَتْ خُطُوْبُهَا   لِتَثْلِمَ مِنْ غَرْبِي[4] وَتَقْدَحَ فِيْ وَفْرِيْ[5]

وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي فِيْ حِمَى الظَّافِرِ الرِّضَا   أَرُدُّ العِدَى عَنْ بِصَمْصَامَتَيْ عَمْرِو[6]

حَلَلْتُ جَنَاباً مِنْهُ مَدَّ ظِلالَهُ   عَلَيَّ وَأَعْطَانِي أَمَاناً مِنَ الدَّهْرِ

جَنَابٌ بَكَتْ فِيْهِ غَمَائِمُ جُوْدِهِ   فَأَضْحَكْنَ رَوْضَ الْمَجْدِ عَنْ زَهَرِ الشُّكْرِ

وَكَمْ نِلْتُ مُذْ أَصْبَحْتُ أَلْثُمُ كَفَّهُ   بِيُمْنَاهُ مِنْ يُمْنٍ وَيُسْرَاهُ مِنْ يُسْرِ

لَدَى مَلْكٍ مَا لاحَ ضَوْءُ جَبِيْنِهِ   بِجُنْحِ الدُّجَى إِلاَّ كَفَى مَطْلَعَ البَدْرِ

وَمُتَّقِدِ الآرَاءِ لَوْ جَالَ فِيْ الوَغَى   بِخَاطِرِهِ أَغْنَى عَنِ الْبِيْضِ وَالسُّمْرِ

وَلَوْلا اضْطِرَامُ الْبَأْسِ فِيْهِ غَدَا القَنَا   بِرَاحَتِهِ يَهْتَزُّ بِالوَرَقِ الخُضْرِ

أَرَى عَابِدَ الرَّحْمَنِ رَحْمَةَ مَنْ قَسَتْ   عَلَيْهِ اللَّيَالِي، أَمْنَ مَنْ رِيْعَ بِالفَقْرِ

وَكَعْبَةَ آمَالٍ كَثِيْراً حَجِيْجُهَا   لَهَا حَرَمٌ فِيْهِ مَشَاعِرُ لِلشِّعْرِ

---

(١) دارين: اسم فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، فتحت زمن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٢.

(٢) الشِّحر: ساحل اليمن، وشحر عمان: ساحل البحر بين عمان وعدن، انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٣٨.

(٣) المَجْرُ: الشيءُ العظيمُ المجتمعُ، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مجر.

(٤) غربي: حدُّ كلِّ شيء، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، غرب.

(٥) يقال: وفر عِرْضَهُ ووفره له: كأنه لم يشتمه، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، وفر.

(٦) صمصامتا عمرو:الصمصامة: السيف الصارم الذي لا ينثني؛ والصمصامة: اسم سيف عمرو بن معديكرب. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، صمم.

لَهُ مِنْ حِجَاهُ بِالسَّمَاحَةِ آمِرٌ   وَمِنْ حِلْمِهِ نَاهٍ عَنِ اللَّغْوِ وَالهَجْرِ

فَتًى لَمْ يُشَمِّرْ قَطُّ إِلاَّ عَنَا لَهُ   عِدَاهُ وَسَاقُ الْحَرْبِ مُسْبَلَةُ الأُزْرِ

وَلَمْ يَعْتَرِكْ بُخْلٌ بِمَيْدَانِ عَدْلِهِ   وَجَدْوَاهُ إِلاَّ فَازَ جَدْوَاهُ بِالنَّصْرِ

أَبَا عَامِرٍ لا زِلْتَ لِلْمَجْدِ عَامِراً   فَإِنَّكَ وُسْطَى العِقْدِ فِيْ عُنُقِ الفَخْرِ

وَقَمْتَ[1] العِدَا عَنِّيْ بِرَأْفَةِ مَاجِدٍ   وَغَمْرِ نَوَالٍ سَرَّ إِذْ سَاءَ ذَا الغِمْرِ[2]

وَأَوْسَعْتَ نُعْمَى ضِقْتُ ذَرْعاً بِحَمْلِهَا   فَإِنْ خَفَّفْتَ عُمْرِيْ لَقَدْ أَثْقَلْتَ ظَهْرِي

وَلَمَّا ارْتَقَتْ بِيْ فِيْ سَمَائِكَ هِمَّتِي   غَدَا أَخْمَصِي فَوْقَ النَّعَائِمِ وَالنَّسْرِ[3]

فَحَيَّيْتُ شَمْسَ المُلْكِ فِيْ فَلَكِ العُلا   وَشِمْتُ[4] سَحَابَ الْجُوْدِ فِيْ بَارِقِ البِشْرِ

أَيَرْجُوْ ضَلاَلاً أَنْ يُنَاوِيْكَ حَاسِدٌ   وَقَدْ حُزْتَ خَصْلَ السَّبْقِ وَهْوَ عَلَى الإِثْرِ

وَأَرْسَى عُبَيْدُاللهِ بَيْتَكَ فِيْ العُلاَ   وَطَنَّبَهُ بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ وَالغَفْرِ[5]

وَأَصْبَحْتَ كَالمَأْمُوْنِ تَقْفُو سَبِيْلَهُ   كَأَنَّكَ مُوْسَى تَقْتَفِيْ أَثَرَ الخَضِرِ[6]

وَمَا عِلْتَ[7] صَبْراً حِيْنَ قَلَّدَكَ العُلا   وَجَاءَ بِأَمْرٍ مِنْ بَدَائِعِهِ أَمْرِي

فَلِلَّهِ مَا شَادُوْا وَشِدْتَ مِنَ العُلا   وَللهِ مَا حَازُوْا وَمَا حُزْتَ مِنْ ذِكْرِ

نَظَمْتَ شَتِيْتَ المُلْكِ بِالعَدْلِ وَالتُّقَى   وَقُمْتَ بِحَقِّ اللهِ فِيْ السِّرِّ وَالْجَهْرِ

وَجَاءَكَ فِطْرٌ إِثْرَ صَوْمٍ قَضَيْتَهُ[8]   بِحَظَّيْنِ مِنْ سَعْدٍ جَزِيْلٍ وَمِنْ أَجْرِ

وَأَدْبَرَ سُقْمٌ عَنْكَ بَشَّرَ جِسْمَهُ   بِإِقْبَالِ نُعْمَى وَاتِّصَالٍ مِنَ العُمْرِ

---

(١) وقم الرجل: أذلَّهُ وقهره وردّه أقبح الرد، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، وقم.

(٢) الغَمر، الغِمر: بفتح الغين وكسرها: الحقد، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، غمر.

(٣) النعام والنعائمُ: من منازل القمر، وهي ثمانية كواكب، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، نعم.

(٤) شام السحاب والبرق شيماً: نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر، وشام النار: نظر إليها، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، شام.

(٥) الغفر: منزل من منازل القمر: ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان.

(٦) حول قصة موسى عليه السلام والخضر. انظر: ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، **مختصر تفسير ابن كثير**، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط ٤، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠١ هـ، ص٣٢٠.

(٧) عيل صبره: نفد، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، عيل.

(٨) في: **أزهار الرياض**: "وجاءَ صومٌ إثْرَ فطرٍ قَضَيْتَهُ"، ج٣، ص١٢٠.

سَـيَمْلأُ شُـكْرِي كُـلَّ قُطْـرٍ تَحُلُّـهُ	بِنَـشْرِ ثَنَـاءٍ عَنْـكَ أَذْكَـى مِـنَ العِطْـرِ
وَتَبْقَـى لَكُـمْ بَـيْنَ الـضُّلُوْعِ مَحَبَّـةٌ	أُلاقِـيْ بِهَـا الـرَّحْمَنَ فِـيْ مَوْقِـفِ الْحَـشْرِ

وَكَتَبَ[1] إِلَى ذِيْ الْوِزَارَتَيْنِ أَبِيْ عِيْسَى بن لُبُّون[2] (الكامل):

قُمْ نَـصْطَبِحْ مِـنْ قَهْـوَةٍ بِكْـرِ	حَتَّى نُرَى صَرْعَى مِـنَ الـسُّكْرِ
أُنُفٍ[3] تَنَاسَاهَا الوَرَى حَتَّـى إِذَا	لَـمْ تَجْـرِ فِـيْ بَـالٍ وَلا ذِكْـرِ
فَتَرَى الدِّنَانَ وَمَـا حَـوَتْ مِنْهَـا	كَجَـوَانِحٍ طُوِيَـتْ عَلَـى فِكْـرِ
نَفَحَتْ فَقُلْتُ المِـسْكُ أَوْ مَـا قَـدْ	أَحْيَا أَبُـوْ عِيْـسَى مِـنَ الـذِّكْرِ
لا شَـيْءَ يَحْكِـيْ طِيْبَهَـا إِلاَّ	شِـيَمٌ عِـذَابٌ مِنْـهُ أَوْ شُـكْرِ
مَا زِلْـتُ أَخْبُـرُ مِـنْ مَحَاسِـنِهِ	قِـدَماً بِعُـرْفٍ لَـيْسَ بِـالنُّكْرِ
وَأَحِـنُّ نَحْـوَ لِقَائِـهِ طَرَبـاً	كَـالطَّيْرِ إِذْ جَنَّـت إِلَـى وَكْـرِ
فَـالآنَ شَـاهَدْتُ الَّـذِيْ يُحْكَـى	وَلَقِيْـتُ فِيْـهِ الفَـضْلَ لِلـشُّكْرِ

وَكَانَ أَبُوْ عِيْسَى مِمَّنْ رَأَسَ وَمَا شَفَّ، وَوَكَفَ جُـوْدُهُ وَمَـا كَـفَّ، وَأَعَـادَ سُـوْقَ الْبَـدَائِعِ نَافِقَةً، وَرَفَعَ لِلآمَالِ رَايَةً مِنَ النَّدَى خَافِقَةً، وَأَوْرَدَهُـمْ مَنْهَـلَ[4] جُـوْدِهِ مَعِيْنـاً، وَزَفَّ لَهُـمْ مِـنْ مَبَرَّاتِهِ أَبْكَاراً وَعَوْناً، فَلَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُهُ هَذَا وَسَـمِعَهُ، اسْـتَنْبَلَهُ وَاسْـتَبْدَعَهُ، وَأَحْـضَرَهُ إِلَـى مَجْلِـسٍ نَامَ عَنْهُ الدَّهْرُ وَغَفَلَ، وَقَامَ لِقَرْضِ أُنْسِهِ وَتَنَفَّلَ[5]، قَدْ بَانَـت صُـرُوْفُهُ، وَدَنَـتْ مِـنَ[6] الزَّائِـرِيْنَ قُطُوْفُهُ، وَقَالَ هَلُمَّ بِنَا إِلَى الاجْتِمَاعِ بِمُـذْهَبِكَ، وَالاسْـتِمْتَاعِ بِمَـا شِـئْتَهُ بِبَرَاعَـةِ أَدَبِـكَ، فَأَقَـامُوْا يُعْمِلُوْنَ كَأْسَهُمْ، وَيَصِلُوْنَ إِيْنَاسَهُمْ، وَبَاتُوْا لَيْلَهُمْ مَا طَرَقَهُمْ نَـوْمٌ، وَلا عَـدَاهُمْ عَـنْ طِيْـبِ اللَّـذَاتِ

---

(١) الخبر والشعر في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٢٠-١٢١.

(٢) أبو عيسى بن لبون: هو لبون بن عبدالعزيز بن لبون من أصحاب القادر بن ذي النون، رأس بمربيطـر، مـن أعمـال بلنسية، ثم تخلى عنها لأبي مروان بن رزين، وكان معدوداً في الأجواد موصوفاً بتجويد القريض. انظر ترجمته في الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان**، ج١، ص٢٨٩، ابن بسام، **الذخيرة**، ق٣، م١، ص١٠٤؛ ابن الأبّـار، **الحلـة الـسيراء**، ج٢، ص١٦٧؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص٣٧٦.

(٣) يقال روضة أُنُفٌ: لم يرعها أحد، وكأس أُنُفٌ: ملأى، والأُنُف: الخمرة التي لم يُستخرج من دنّها شيءٌ قبلها، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، أنف.

(٤) في: **أزهار الرياض**، "منها"، ج٣، ص١٢٠.

(٥) في: **أزهار الرياض**، "وقام لِقَرْطِ أنسه واحتفل"، ج٣، ص١٢١.

(٦) في: **أزهار الرياض**: "في"، ج٣، ص١٢١.

طِيْبِ اللَّذَّاتِ سَوْمٌ. وَدَخَلَ[(١)] سَرَقُسطَةَ أَيَّامَ المُستَعِيْنِ بِاللهِ[(٢)] وَهِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا[(٣)]، وَفِتْنَةُ المَحْيَا، وَمُنْتَهَى الوَصْفِ، وَمَوْقِفُ السُّرُوْرِ وَالقَصْفِ، مَلِكٌ نَمِيْرُ[(٤)] البَشَاشَةِ، كَثِيْرُ الهَشَاشَةِ[(٥)]، وَمُلْكٌ[(٦)] بَهِجٌ[(٧)] الفِنَاءِ، أَرِجُ الأَرْجَاءِ، يَرُوْقُ المُجْتَلِي، وَيَفُوقُ النَّجْمَ المُعْتَلِي، وَحَضْرَةٌ مُنْسَابَةُ المَاءِ، مُنْجَابَةُ السَّمَاءِ، يَبْسِمُ[(٨)] زَهْرُهَا، وَيَنْسَابُ[(٩)] نَهْرُهَا، وَتَتَفَتَّحُ[(١٠)] خَمَائِلُهَا، وَتَتَضَوَّعُ صَبَاهَا وَشَمَائِلُهَا، وَالحَوَادِثُ[(١١)] لا تَعْتَرِضُهَا، وَالكَوَارِثُ لا تَقْتَرِضُهَا[(١٢)]، وَنَازِلُهَا مِنْ عُرْسٍ إِلَى مَوْسِمٍ، وَآمِلُهَا مُتَّصِلٌ بِالأَمَانِي وَمُتَّسِمٌ[(١٣)]، فَنَزَلَ مِنْهَا فِيْ مِثْلِ الخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيْرِ[(١٤)]، وَتَصَرَّفَ فِيْهَا بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيْرٍ،

---

(١) الخبر والشعر في: الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٥؛ **أزهار الرياض**، ج٣، ص١٢١-١٢٣؛ **ونفح الطيب**، ج١، ص٦٤٧-٦٤٩، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات في **قلائد العقيان**، ج٤، ص٧١١-٧١٣؛ وأورد ابن خلكان تسعة أبيات منها، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٩٧. يشير هذا النص إلى أن ابن السيد البَطَلْيوسي كان قد فارق بني رزين أصحاب السهلة، ولحق بني هود أصحاب سرقسطة، زمن المستعين بالله أحمد بن محمد سليمان بن هود(٤٧٨-٥٠١هـ)، الذي يمدحه بالقصيدة التالية.

(٢) سقطت من **قلائد العقيان**، ج٤، ص٧١١. ابن رزين هو: أبو مروان عبدالملك بن رزين بن هذيل حسام الدولة بن خلف بن رزين صاحب السهلة، ولي الحكم بعد أبيه سنة ٤٣٦هـ/ م، كان شديد الإعجاب بنفسه، متعسفاً على الشعراء، متعسراً بمطلوبهم من العطاء، متسماً بالقسوة والفظاظة ورفعة الهمة، توفي سنة ٤٩٦هـ/ م. انظر ترجمته في: **قلائد العقيان**، ج١، ص١٥٧-١٦٩؛ **الذخيرة**، ق٣، م١، ص١٠٩؛ **الخريدة**، ج٢، ص٣٠٨-٣١٢؛ **الحلة السيراء**، ج٢، ص١٠٨-١١٥؛ **المغرب**، ج٢، ص٤٢٨.

(٣) في: **الذخيرة**، ق٣، م٢، ص٨٩٥؛ **قلائد العقيان**، ج٤، ص٧١١: "زهرة النيا".

(٤) في **قلائد العقيان**: "كثير"، ج٤، ص٧١١. وسقطت الفقرة من" مَلِكٌ نَمِيْرُ ... مُتَّصِلٌ بِالأَمَانِيَ وَمُتَّسِمٌ"، من: **الذخيرة**، ق٣، م٢، ص٨٩٥.

(٥) في **قلائد العقيان**: "كبير الحشاشة"، ج٤، ص٧١١.

(٦) العبارة من "ملك... إلى النجم المعتلي"، سقطت من **قلائد العقيان**، ج٤، ص٧١١.

(٧) في: **نفح الطيب**: "أبهج"، ج١، ص٦٤٧.

(٨) في: **قلائد العقيان**: تتسّم زهرها"، ج٤، ص٧١١.

(٩) في: **قلائد العقيان**: "وانساب"، ج٤، ص٧١١.

(١٠) في: **قلائد العقيان**: "وتتفّح خمائلها"، ج٤، ص٧١١.

(١١) العبارة من "والحوادث... إلى لا تعترضها"، سطقت من **قلائد العقيان**، ج٤، ص٧١١.

(١٢) في: **نفح الطيب**: "لا تقرضها"، ج١، ص٦٤٧.

(١٣) في: **قلائد العقيان**: "وأملها مُنْجِلٍ بالأماني مُبْتَسَمٌ"، ج٤، ص٧١١.

(١٤) الخَوَرْنَق: قصر بظاهر الحيرة، أمر ببنائه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي الأكبر. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٢٥-٢٢٦. والسَّدِيْر: قصر قريب من الخورنق، كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك الفرس. انظر الحور العين، ص٣١٠-٣١١؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٢٥-٢٢٦.

فلَمْ[1] يَخِفَّ على المُستَعِيْنِ اخْتِلالُهُ[2]، ولَمْ تَخْفَ[3] لَدَيْهِ خِلالُهُ، فَذَكَرَهُ مُعَلِّماً بِهِ ومُعَرِّفاً، وأَحْضَرَهُ مُنَوِّهاً لَهُ[4] ومُشَرِّفاً[5]، وقَدْ كَانَ فَرَّ مِنَ ابْنِ رَزِيْنٍ[6]، فِرارَ[7] السُّرُوْرِ مِنْ نَفْسِ الحَزِيْنِ، وخَلَصَ مِنْ اعتِقَالِهِ، خُلُوْصَ السَّيْفِ مِنْ صِقَالِهِ، فَقَالَ يَمْدَحُهُ[8]:

(الطويل)

هُمُ سَلَبُوْنِي حُسْنَ صَبْرِيَ إِذْ بَانُوْا ... بِأَقْمَارِ أَطْوَاقٍ مَطَالِعُهَا بَانُ

لَئِنْ غَادَرُوْنِيْ بِاللِّوَى[9] إِنَّ مُهْجَتِي ... مُسَايِرَةٌ أَظْعَانَهُمْ حَيْثُ مَا كَانُوْا

سَقَى عَهْدَهُمْ بِالخَيْفِ عَهْدُ غَمَائِمٍ ... يُنَازِعُهَا[10] مُزْنٌ مِنَ الدَّمْعِ هَتَّانُ[11]

أَأَحْبَابَنَا هَلْ ذَلِكَ العَهْدُ رَاجِعٌ ... وَهَلْ لِيَ عَنْكُمْ آخِرَ الدَّهْرِ سُلْوَانُ؟

ولِي مُقْلَةٌ عَبْرَى وبَيْنَ جَوَانِحِيْ ... فُؤَادٌ إِلَى لُقْيَاكُمُ الدَّهْرَ حَنَّانُ

تَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا لَنَا بَعْدَ بُعْدِكُمْ ... وَحَفَّتْ[12] بِنَا[13]مِنْ مُعْضِلِ الخَطْبِ أَلوَانُ

أَنَاخَتْ بِنَا فِيْ أَرْضِ شَنْتَ مَرِيَّةٍ ... هَوَاجِسُ ظَنٍّ خَانَ[14] وَالظَّنُّ خَوَّانُ

(١) العبارة من قوله: " فَلَمْ تَخفَ لَدَيْهِ...إلى مُنَوِّهاً لَهُ ومُشَرِّفاً ، مُتأخرة عمّا بعدها في قلائد العقيان، ج٤، ص٧١١، وسقطت العبارة:" فَلَمْ تَخْفَ لَدَيْهِ... وقَدْ" من الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٥.

(٢) في: قلائد العقيان: "إخلاله"، ج٤، ص٧١١؛ وفي نفح الطيب: "احتلاله"، ج١، ص٦٤٦، اختلاله: سوء حاله، انظر: ابن منظور: لسان العرب، خلل.

(٣) في: قلائد العقيان:" يختف"، ج٤، ص٧١١.

(٤) في: قلائد العقيان، ج٤، ص٧١١.و نفح الطيب، ج١، ص٦٤٨: "به".

(٥) في: قلائد العقيان، ج٤، ص٧١١.

(٦) في: قلائد العقيان: "وقد كان قرين ابن رزين"، ج٤، ص٧١١.

(٧) في: قلائد العقيان: "فدار"، ج٤، ص ٧١١.

(٨) سقطت: "يمدحه"، من الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٥. قدّم للقصيدة في خريدة القصر بقوله: " وله من قصيدة يمدح المستعين بن هود"، وذكر منها ثلاثة عشر بيتاً، ج٣، ص٤٨٠ -٤٨١؛ وفي وفيات الأعيان بقوله:"وله من أول قصيدة يمدح بها المستعين بن هود"، وذكر منها تسعة أبيات، هي على التوالي: ١-٦، ١١-١٢، ٢١، ج٣، ص٩٧.

(٩) في: خريدة القصر: "في اللَّوى"، ٤٨٠.

(١٠) في: خريدة القصر: "مُنازعها"، ص ٤٨٠.

(١١) سقط هذا البيت من: الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٥.

(١٢) في: وفيات الأعيان: "حلّت"، ج١، ص٦٤٨.

(١٣) في: الذخيرة : "فعاودنا من"، ق٣، م٢، ص٨٩٥.

(١٤) في: الذخيرة : "خان"، ق٣، م٢، ص٨٩٥.

وَشِمْنَا[1] بُرُوقاً لِلْمَوَاعِيدِ أُتْعِبَتْ ... نَوَاظِرُهَا دَهْراً، وَلَمْ يَهْمِ هَتَّانُ[2]

فَسِرْنَا وَمَا نَلْوِي عَلَى مُتَعَذِّرٍ ... إِذَا وَطَنٌ أَقْصَاكَ آوَتْكَ أَوْطَانُ

وَلا زَادَ إِلاَّ مَا انْتَشَتْهُ مِنَ الصَّبَا ... أُنُوفٌ وَحَازَتْهُ مِنَ المَاءِ أَجْفَانُ

رَحَلْنَا[3] سَوَامَ الحَمْدِ عَنْهَا لِغَيْرِهَا ... فَلا مَاؤُهَا صَدًّا وَلا النَّبْتُ سَعْدَانُ[4]

إِلَى مَلِكٍ حَابَاهُ بِالمَجْدِ[5] يُوسُفٌ ... وَشَادَ لَهُ الْبَيْتَ الرَّفِيعَ سُلَيْمَانُ[6]

إِلَى مُسْتَعِينٍ بِالإِلَهِ مُؤَيَّدٍ ... لَهُ النَّصْرُ حِزْبٌ وَالمَقَادِيرُ أَعْوَانُ

جَفَتْنَا[7] بِلا جُرْمٍ كَأَنَّ مَوَدَّةً ... تَثَنَّى نَحْوَنَا مِنْهَا الأَعِنَّةَ شَنْآنُ

وَلَوْ لَمْ تُفِدْ مِنَّا سِوَى الشِّعْرِ وَحْدَهُ ... لَحُقَّ لَنَا بِرٌّ عَلَيْهِ وَإِحْسَانُ

فَكَيْفَ وَلَمْ نَجْعَلْ بِهَا الشِّعْرَ مَكْسَباً ... فَيُوجِبَ لِلْمُكْدِي جَفَاءٌ وَحِرْمَانُ

وَلا نَحْنُ مِمَّنْ يَرْتَضِي الشِّعْرَ خُطَّةً ... وَإِنْ قَصَّرَتْ عَنْ شَأْوِنَا فِيهِ أَعْيَانُ

وَمَنْ أَوْهَمَتْهُ غَيْرَ ذَاكَ ظُنُونُهُ ... فَثَمَّ مَجَالٌ لِلْمَقَالِ وَمَيْدَانُ

خَلِيلَيَّ مَنْ يُعْدِي عَلَى زَمَنٍ لَهُ ... إِذَا مَا قَضَى حَيْفٌ عَلَيَّ وَعُدْوَانُ

وَهَلْ رِيءَ مِنْ قَبْلِي غَرِيقُ مَدَامِعٍ ... يَفِيضُ بِعَيْنَيْهِ الْحَيَا وَهْوَ حَرَّانُ

وَهَلْ طَرَفَتْ عَيْنٌ لِمَجْدٍ وَلَمْ تَكُنْ ... لَهَا مُقْلَةٌ مِنْ آلِ هُودٍ وَإِنْسَانُ

فَوَجْهُ[8] ابْنِ هُودٍ كُلَّمَا أَعْرَضَ الْوَرَى ... صَحِيفَةُ إِقْبَالٍ لَهَا الْبِشْرُ عُنْوَانُ

---

(١) سقطت الأبيات من "وَشِمْنَا ...إلى نهاية مِنَ المَاءِ أَجْفَانُ" من الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٥.

(٢) في: نفح الطيب: "تهتان"، ١، ص٦٤٨.

(٣) قدم للأبيات الثلاثة التالية في خريدة القصر بقوله:"ومنها"، ج٣، ص٤٨٠؛ وقبل هذا البيت في وفيات الأعيان:"ومن مديحها"، ج٣، ص٩٧.

(٤) في البيت إشارة إلى المثلين: ماءٌ ولا كصداء، ومَرْعى ولا كالسعدان"، انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٧٥، ص٢٧٧.

(٥) في وفيات الأعيان:"بالحسن"، ج٣، ص٩٧.

(٦) في هذا البيت إشارة إلى ثلاثة من ملوك بني هود هم: والد المستعين، ووالد جَدّه يوسف بن أحمد المؤتمن، وسليمان بن هود مؤسس أسرة بني هود في سرقسطة، انظر: لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص

(٧) سقطت الأبيات من "جَفَتْنَا ... إلى نهاية من آل هود وإنسان": من قلائد العقيان، ج٤، ص٧١٢-٧١٣. وسقطت الأبيات من "جَفَتْنَا ... إلى نهاية القصيدة"، من الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٥.

(٨) قبل هذا البيت في قلائد العقيان: "ومنها يمدحه رحمها الله"، ج٤، ص ٧١٢. وفي قلائد العقيان، ج٤، ص٧١٢، وخريدة القصر، ج٣، ص٤٨١:" بوجه".

فَتَى الْمَجْدِ فِيْ بُرْدَيْهِ بَدْرٌ وَضَيْغَمٌ وَبَحْرٌ وَقُدْسٌ ذُوْ الهِضَابِ وَثَهْلاَنُ[1]

مِنَ النَّفَرِ الشُّمِّ[2] الَّذِيْنَ أَكُفُّهُمْ غُيُوثٌ وَلَكِنَّ الْخَوَاطِرَ نِيْرَانُ[3]

لُيُوثُ شَرَى مَا زَالَ مِنْهُمْ لَدَى الوَغَى هِزَبْرٌ بِيُمْنَاهُ[4] مِنَ السُّمْرِ[5] ثُعْبَانُ

وَهَلْ فَوْقَ مَا قَدْ شَادَ مُقْتَدِرٌ لَهُمْ وَمُؤْتَمَنٌ بِاللهِ لُقْيَاهُ إِيْمَانُ؟[6]

أَلا لَيْسَ فَخْرٌ فِيْ الوَرَى غَيْرُ فَخْرِهِمْ وَإِلاَّ فَإِنَّ الفَخْرَ زُوْرٌ وَبُهْتَانُ

فَيَا مُسْتَعِيْناً مُسْتَعَاناً لِمَنْ نَبَا بِهِ وَطَنٌ يَوْماً وَعَضَّتْهُ أَزْمَانُ

كَسَوْتُكَ مِنْ نَظْمِي قَلاَئِدَ مَفْخَرٍ يُبَاهِي بِهَا جِيْدُ الْمَعَالِي[7] وَيَزْدَانُ

وَإِنْ قَصُرَتْ عَمَّا لَبِسْتَ فَرُبَّمَا تَجَاوَزَ دُرٌّ فِيْ النِّظَامِ وَمَرْجَانُ

مَعَانٍ حَكَتْ غُنْجَ الحِسَانِ كَأَنَّنِيْ بِهِنَّ حَبِيْبٌ أَوْ بَطَلْيَوْسُ بَغْدَانُ

إِذَا غَرَسَتْ كَفَّاكَ غَرْسَ مَكَارِمٍ بِأَرْضِي أَجْنَتْكَ الثَّنَا مِنْهُ أَغْصَانُ

وَكَانَ[8] عِنْدَ وُصُوْلِهِ إِلَى ابْنِ رَزِيْنٍ قَدْ رَفَعَهُ أَرْفَعَ مَحَلٍّ، وَأَنْزَلَهُ مَنْزِلَةَ أَهْلِ العَقْدِ وَالحَلِّ، وَأَطْلَعَهُ فِيْ سَمَائِهِ، وَأَقْطَعَهُ مَا شَاءَ مِنْ نَعْمَائِهِ، وَأَوْرَدَهُ أَصْفَى مَنَاهِلِ مَائِهِ، وَأَحْضَرَهُ مَعَ خَوَاصِّ نُدَمَائِهِ، وَكَانَت دَوْلَتُهُ مَوْقِفَ البَيَانِ، وَمَقْذَفَ الأَعْيَانِ، وَمُحَصَّبَ جِمَارِ الآمَالِ، وَأَعْذَبَ مَوَارِدِ الأَجْمَالِ، لَوْلا سَطَوَاتُهُ البَاطِشَةُ، وَنَكَبَاتُهُ البَارِيَةُ لِسِهَامِ الرُّزْءِ الرَّائِشَةُ، فَقَلَّمَا سَلِمَ مِنْهَا مُفَادُ الأَمْوَالِ، وَلا أَحْمَدَ عُقْبَاهُ مَعَهُ صَاحِبٌ وَلا وَالٍ، فَأَحْمَدَ هُوَ أَوَّلَ أَمْرِهِ مَعَهُ، وَاسْتَحْسَنَ مَذْهَبَهُ فِيْ جَانِبِهِ وَمَنْزَعِهِ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّهْدِ شُرْبَ عَلْقَمٍ، وَأَنَّ السَّمَّ تَحْتَ لِسَانِ ذَلِكَ الأَرْقَمِ، فَقَالَ [رَحِمَهُ اللهُ][9] يَمْدَحُهُ:

---

(١) القُدس: جبل عظيم بنجد. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٤٥٤؛ البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع**، حققه وضبطه مصطفى السقاء، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج٣، ص١٠٥٠. وثَهْلان: جبل باليمن، وقيل بالعالية، والعرب تضرب المثل به في الثقل، فتقول: أثقل من ثهلان. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٤٥٤؛ البكري، **معجم ما استعجم** ، ج١، ص٣٤٧.

(٢) في: **خريدة القصر**: " البيض"، ج٣، ص٤٨١.

(٣) هنا تنتهي الأبيات في: **خريدة القصر**، ج٣، ص ٤٨١.

(٤) في: **قلائد العقيان**: "فيمناه"، ج٤، ص٧١٣.

(٥) في: **أزهار الرياض**:"السُّحر"، ج٣، ص١٢٣.

(٦) هنا تنتهي القصيدة في **قلائد العقيان**، ج٤، ص٧١٣.

(٧) في: **نفح الطيب**: جيدُ الزَّمان، ج١، ص٦٤٩.

(٨) الخبر والقصيدة في **أزهار الرياض**، ج٣، ص١٢٣-١٢٥.

(٩) زيادة من : **أزهار الرياض**، ج٣، ص١٢٣.

(الطويل)

عَسَى عَطْفَةٌ مِمَّنْ جَفَانِي يُعِيدُهَا ... فَتُقْضَى لُبَانَاتِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا

فَقَدْ تُعْتِبُ الأَيَّامُ بَعْدَ عِتَابِهَا ... وَيُمْحَى بِوَصْلِ الغَانِيَاتِ صُدُوْدُهَا

وَكَمْ لِلْصِّبَا عِنْدِيْ يَدٌ لَسْتُ جَاحِداً ... لَهَا إِنَّ كُفْرَانَ الأَيَادِي جُحُوْدُهَا

لَيَالِيَ أَسْرِيْ فِيْ لَيَالِي غَدَائِرٍ ... كَوَاكِبُهَا حَلْيُ الْمَهَا وَخُدُوْدُهَا

وَأَهْصُرُ أَغْصَانَ القُدُوْدِ فَتَنْثَنِيْ ... عَلَيَّ بِرُمَّانِ النُّحُوْرِ نُهُوْدُهَا

فَلِلَّهِ لَيْلٌ بِتُّ فِيْهِ كَأَنَّنِيْ ... بِوَجْرَةَ أَغْتَالُ الْمَهَا وَأَصِيْدُهَا

أُبِيْحُ ثُغُوْراً كَالثُّغُوْرِ وَدُوْنَهَا ... أَسِنَّةُ أَلْحَاظٍ قَنَاهَا قُدُوْدُهَا

تَشَابَهَ مِنْهَا مَا حَوَتْهُ مَبَاسِمٌ ... عِذَابٌ وَلَبَّاتٌ يَرُوْقُ فَرِيْدُهَا

فَإِنْ تَكُ مِنْ تِلْكَ العُقُوْدِ ثُغُوْرُهَا ... وَإِلاَّ فَمِنْ تِلْكَ الثُّغُوْرِ عُقُوْدُهَا

وَحَمْرَاءَ حَلاهَا المِزَاجُ فَخِلْتُهَا ... عَقِيْلَةَ خِدْرٍ زِيْنَ بِالدُّرِّ جِيْدُهَا

بَدَتْ فِيْ دِلاصٍ[1] مِنْ حَبَابٍ وَأَشْرَعَتْ ... سِنَانَ انْسِكَابٍ وَالكُؤُوْسُ جُنُوْدُهَا

فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى كَأَنَّ شُرُوْبَهَا ... مِنَ السُّكْرِ صَرْعَى أَنْعَسَتْهَا خُدُوْدُهَا

تَرَى شَرْبَهَا جُنْحَ الظَّلامِ كَأَنَّهُمْ ... بِهَا مُصْطَلُوْ نَارٍ يُشَبُّ وَقُوْدُهَا

إِذَا أَنْكَحُوْا مِنْ فِضَّةِ المَاءِ تِبْرَهَا ... أَتَى اللُّؤْلُؤُ المَكْنُوْنُ وَهْوَ وَلِيْدُهَا

كَمَا أَنْكَحُوْا البَدْرَ اسْتَقَامَتْ سُعُوْدُهُ ... هُذَيلاً[2] مِنَ الشَّمْسِ اسْتَقَامَتْ سُعُوْدُهَا

فَجَاءَا بِعَبْدِ المَلْكِ لِلْمُلْكِ كَوْكَباً ... لِيَحْمِيْ سَمَاءَ الْمَجْدِ مِمَّنْ يَكِيْدُهَا

رَمَى جِنَّةَ الأَعْدَاءِ لِمَا سَمَوْا لَهَا ... بِشُهْبِ القَنَا حَتَّى اسْتَشَاطَ مَرِيْدُهَا

حَلَفْتُ بِعَلْيَا عَابِدِ المَلْكِ ذِيْ اللُّهَا[3] ... وَأَيْدٍ لَهُ كَالقَطْرِ جَمٍّ عَدِيْدُهَا

لَئِنْ كَانَ قَدْ أَبْلَتْ هُذَيْلاً يَدُ الرَّدَى ... فَإِنَّ عُلاهُ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيْدُهَا

وَإِنْ رَفَعَتْ كَفَّاهُ قُبَّةَ مَفْخَرٍ ... فَإِنَّ قَنَا عَبْدِ المَلِيْكِ عَمُوْدُهَا

---

(١) الدِّلاص من الدروع: اللَّيِّنة، ودرع دلاص: برّاقة ملساء لينة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، دلص.

(٢) هذيل هو والد الممدوح وهو الَّذي أسس دولة بني رزين.

(٣) اللُّهَا: جمع لهوة ولهية وهي العطية، وقيل أفضل العطايا وأجزلها، وهي في الأصل ما يلقى في فم الرَّحى من الحبوب للطحن، انظر: ابن منظور، لسان العرب، لها.

فَتًى أَحْرَزَ العَلْيَا، وَحَازَ مَدَى النَّدَى ... فَمَا إِنْ لَهُ مِنْ رُتْبَةٍ يَسْتَزِيْدُهَا
سَرَى بَارِقٌ مِنْ بِشْرِهِ غَيْرُ خُلَّبٍ ... إِلَى أَرْضِ آمَالِيْ فَأَوْرَقَ عُوْدُهَا
وَبَوَّأَنِيْ مِنْ مَجْدِهِ فِيْ مَكَانَةٍ ... سُعُوْدُ النُّجُوْمِ الزَّاهِرَاتِ صَعِيْدُهَا
فَيَا أَيُّهَا المَوْلَى الَّذِيْ أَنَا عَبْدُهُ ... وَقِدْماً رَجَا طَوْلَ المَوَالِي عَبِيْدُهَا
أَصِخْ نَحْوَ حُرِّ الشِّعْرِ مِنْ عَبْدِ أَنْعُمٍ ... بَدَائِعُهُ مَا زَالَ مِنْكَ يُفِيْدُهَا
قَوَافٍ تَرُوْقُ السَّامِعِيْنَ كَأَنَّمَا ... تُحَلِّي سَجَايَاكَ الحِسَانَ قَصِيْدُهَا
حَبَتْكَ العُلا حَقّاً بِمَثْنَى رِيَاسَةٍ ... بِهَا اعْتَرَفَتْ سَادَاتُهَا وَمَسُوْدُهَا
وَلَوْلاكَ أَضْحَتْ أَرْضُ شَنْتَ مَرِيَّةٍ ... مُنَاخَ خُطُوْبٍ لا يُنَادَى وَلِيْدُهَا
وَمَا زِلْتَ يَقْظَانَ الجُفُوْنِ لِرَعْيِهَا ... إِذَا أَعْيُنُ الأَمْلاكِ طَالَ هُجُوْدُهَا
تَكُفُّ الأَذَى عَنْ أَهْلِهَا وَتَحُوْطُهَا ... وَتُبْدِيْ الأَيَادِي فِيْهِمْ وَتُعِيْدُهَا

وَقَالَ يَرْثِيْ الوَزِيْرَ[1] الأَجَلَّ، أَبَا عَبْدِالْمَلِكِ بنَ عَبْدِالْعَزِيْزِ، وَبَنُوْ عَبْدِالْعَزِيْزِ بِهَذَا الشَّرْقِ، هُمْ كَانُوْا بُدُوْرَ غَيَاهِبِهِ، وَصُدُوْرَ مَرَاتِبِهِ، وَبُحُوْرَ مَوَاهِبِهِ، نُظِمَتْ فِيْهِمُ المَدَائِحُ، وَعَظُمَتْ مِنْهُمُ المَنَائِحُ، وَنَفَقَتْ عِنْدَهُمْ أَقْدَارُ الأَعْلامِ، وَتَدَفَّقَتْ لَدَيْهِمْ بِحَارُ الكَلامِ، وَخَدَمَتْهُمُ الدُّنْيَا وَبَنُوْهَا، وَأَمِنَتْهُمُ الأَيَّامُ وَلَمْ يَأْمَنُوْهَا، فَرَّقَتْ جُمُوْعَهُمْ، وَأَخْلَتْ رُبُوْعَهُمْ، وَنَثَرَتْ سِلْكَهُمْ، وَمَزَّقَتْ مُلْكَهُمْ، وَهَدَّتْ مُشَيَّدَ بِنَائِهِمْ، وَاحْتَلَّتِ الحَوَادِثُ فِيْ فِنَائِهِمْ، وَبَقِيَ أَبُوْ عَبْدِ المَلِكِ هَذَا آخِرَهُمْ، فَأَحْيَا مَفَاخِرَهُمْ، وَكَانَ بَدْرَ هَذَا الأُفُقِ وَشَمْسَهُ، وَرُوْحَ هَذَا القُطْرِ وَنَفْسَهُ، أَبْدَى لِذَلِكَ السَّنَا لَمْعاً، وَأَعَادَ مِنْ تِلْكَ العُلا جَمْعاً، إِلَى أَنْ دَبَّ إِلَيْهِ الحِمَامُ، وَاسْتَسَرَّ بَدْرُهُ بَعْدَ التَّمَامِ، وَالقَصِيْدَةُ: (الطويل)

فُؤَادِي قَرِيْحٌ قَدْ جَفَاهُ اصْطِبَارُهُ ... وَدَمْعِيْ أَبَتْ إِلاَّ انْسِكَاباً غِزَارُهُ
يُسَرُّ الْفَتَى بِالْعَيْشِ وَهُوَ مُبِيْدُهُ ... وَيَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا وَمَا هِيَ دَارُهُ
وَفِيْ عِبَرِ الأَيَّامِ لِلْمَرْءِ وَاعِظٌ ... إِذَا صَحَّ فِيْهَا فِكْرُهُ وَاعْتِبَارُهُ
فَلا تَحْسَبَنْ يَا غَافِلَ الدَّهْرِ صَامِتاً ... فَأَفْصَحُ شَيْءٍ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
أَصِخْ لِمُنَاجَاةِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ ... سَيُغْنِيْكَ عَنْ جَهْرِ المَقَالِ سِرَارُهُ
أَدَارَ عَلَى المَاضِيْنَ كَأْساً فَكُلُّهُمْ ... أُبِيْحَتْ مَغَانِيْهِ وَأَقْوَتْ دِيَارُهُ

(١) الخبر والقصيدة في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٢٥-١٢٧.

وَلَمْ يَحْمِهِمْ مِنْ أَنْ يُسقَّوْا بِكَأْسِهِمْ ... تَنَاوُشُ أَطْرَافِ القَنَا وَاشْتِجَارُهُ

وَغَالَتْ أَبَا عَبْدِ الْمَلِيكِ صُرُوفُهُ ... وَقَدْ كَانَ دَهْراً لا يُبَاحُ ذِمَارُهُ

فَأَصْبَحَ مَجْفُوّاً وَقَدْ كَانَ وَاصِلاً ... وَأَمْسَى قَصِيّاً وَهْوَ دَانٍ مَزَارُهُ

وَلَمْ أَنْسَ إِذْ أَوْدَى الحِمَامُ بِنَفْسِهِ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ فِعْلُهُ وَادِّكَارُهُ

إِذَا رَقَأَتْ عَيْنِي اسْتَهَلَّتْ شُؤُونُهَا ... لِمَأْتَمِ حُزْنٍ قَدْ أَرَنَّ صُوَارُهُ(١)

تُجَاوِبُ هَذِي تِلْكَ عِنْدَ بُكَائِهَا ... كَتَرْجِيعِ شَوْلٍ حِينَ حَنَّتْ عِشَارُهُ(٢)

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كَالمُزْنِ يَرْهَبُ صَعْقَهُ ... عَدُوٌّ وَيُرْجَى فِي الْمُحُولِ انْهِمَارُهُ

وَدَوْحَةَ عِزٍّ يُسْتَظَلُّ بِظِلِّهَا ... وَرَوْضاً مِنَ الآدَابِ تُجْتَنَى ثِمَارُهُ

أَمَا وَعُلاَ مَرْوَانَ إِنَّ مُصَابَهُ ... أَثَارَ أَسَىً تُذْكَى عَلَى القَلْبِ نَارُهُ

فَلا شُرْبَ إِلاَّ قَدْ تَكَدَّرَ صَفْوُهُ ... وَلا نَوْمَ إِلاَّ قَدْ تَجَافَى غِرَارُهُ

فَأَيُّ حَيَاً لِلْفَضْلِ أَجْلَى غَمَامُهُ ... وَنَظْمٍ مِنَ الْعَلْيَاءِ حَانَ انْتِثَارُهُ

خَوَى الْمَجْدُ مِنْ مَرْوَانَ وَانْهَدَّ طَوْدُهُ ... وَجَدَّ بِجَدِّ الْمُكْرُمَاتِ عِثَارُهُ

وَمَا خِلْتُ أَنَّ الصُّبْحَ يُشْرِقُ بَعْدَهُ ... لِعَيْنٍ وَأَنَّ الرَّوْضَ يَبْقَى اخْضِرَارُهُ

فَيَا طَوْدَ عِزٍّ زَلْزَلَ الأَرْضَ هَدُّهُ ... وَبَدْرَ عُلاً رَاعَ الأَنَامَ انْكِدَارُهُ

هَنِيئاً لِلَحْدٍ ضَمَّ شِلْوَكَ أَنْ غَدَا ... عَمِيدُ النَّدَى وَالمَجْدِ فِيهِ قَرَارُهُ

وَلَمْ أَرَ دُرّاً قَطُّ أَصْدَافُهُ الثَّرَى ... وَلا بَدْرَ تَمٍّ فِي التُّرَابِ مَغَارُهُ

عَزَاءَ بَنِي عَبْدِالْعَزِيزِ وَإِنْ خَلاَ ... مِنَ الْمَجْدِ مَغْنَاهُ وَهُدَّ مَنَارُهُ

فَفِيكُمْ لِهَذَا الصَّدْعِ آسٍ وَجَابِرٌ ... وَإِنْ كَانَ صَعْباً أَسْوُهُ وَانْجِبَارُهُ

لَكُمْ شَرَفٌ أَرْسَى قَوَاعِدَ بَيْتِهِ ... أَبُو بَكْرٍ السَّارِي إِلَيْكُمْ نِجَارُهُ

أَجَلُّ وَزِيرٍ عَطَّرَ الأَرْضَ ذِكْرُهُ ... وَأَخْجَلَ زُهْرَ النَّيِّرَاتِ فَخَارُهُ

فَلَوْ كَانَ لِلْعَلْيَاءِ جِيدٌ وَمِعْصَمٌ ... لأَصْبَحَ مِنْكُمْ عِقْدُهُ وَسِوَارُهُ

---

(١) الصُّوَارُ: بضم الصّاد وكسرِهَا: القطيعُ من البقر والجمعُ صيران، انظر: ابن منظور، لسان العرب، صور.

(٢) الشَّوْل: جمع شائلة، وهي من الإبل ما أتي عليها من حملها أو وضعها سبعةُ أشهر فجفَّ لبنها، انظر: ابن منظور، لسان العرب، شول؛ والعِشَارُ: جَمْعُ عشراء وهي التي مَضَى لحملها عشرة أشهر أو هي التي وضعت حديثاً، انظر: ابن منظور، لسان العرب، عشر.

وَمِمَّا يُستَغْرَبُ لَهُ[1] وَيُستَبْدَعُ، وَيُشَادُ بِذِكرِهِ وَيُسْمَعُ، وَيُعَدُّ مِمَّا ابْتَكَرَ مَعْنَاهُ وَاخْتَرَعَ، قَوْلُهُ فِيْ وَصفِ طُولِ اللَّيلِ عَلَيْهِ، حِيْنَ[2] كَابَدَ مِنْهُ مَا عَظُمَ لَدَيْهِ: (الطويل)

تُرَى لَيْلَنَا شَابَتْ نَوَاصِيهِ كَبْرَةً كَمَا شِبْتُ أَمْ[3] فِيْ الْجَوِّ رَوْضُ بَهَارِ

كَأَنَّ اللَّيَالِيَ السَّبْعَ فِيْ الأُفْقِ[4] جُمِّعَتْ وَلا فَضْلَ فِيْمَا بَيْنَهَا لِنَهَارِ

وَحَضَرَ[5] عِنْدَ الظَّافِرِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عُبَيْدِاللهِ بنِ ذِيْ النُّوْنِ[6]، رَحِمَهُ اللهُ[7]، مَجْلِساً رَفَعَتْ فِيْهِ المُنَى لِوَاءَهَا، وَخَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ضِيَاءَهَا[8]، وَزَفَّتْ إِلَيْهِ المَسَرَّاتُ أَبْكَارَهَا، وَفَارَقَتْ إِلَيْهِ الطَّيْرُ أَوْكَارَهَا، فَقَالَ يَصِفُهُ: (الرَّجز)

وَمَجْلِسٍ جَمِّ المَلاهِي أَزْهَرَا أَلَذَّ فِيْ الأَجْفَانِ مِنْ طَعْمِ الكَرَى

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُ وَلا تَرَى أَنْفَسَ فِيْ نَفْسٍ وَأَبْهَى مَنْظَرَا

إِذَا تَرَدَّى وَشْيَهُ المُصَوَّرَا مِنْ حَوْكِ صَنْعَاءَ وَحَوْكِ عَبْقَرَا

وَنَسْجِ قُرْقُوبٍ وَنَسْجِ تُسْتَرَا[9] خِلْتَ الرَّبِيْعَ الطَّلْقَ فِيْهِ نَوَّرَا

كَأَنَّمَا الإِبْرِيْقُ حِيْنَ قَرْقَرَا قَدْ أَمَّ لَثْمَ الْكَاسِ حِيْنَ فَغَرَا

وَخَشْيَةٌ ظَلَّتْ تُنَاغِيْ جُؤْذَرَا تُرْضِعُهُ الدُّرَّ وَيَرْنُوْ حَذَرَا

كَأَنَّمَا مَجَّ عَقِيْقاً أَحْمَرَا أَوْفَتَّ مِنْ رَيَّاهِ مِسْكاً أَذْفَرَا

أَوْ عَابِدُ الرَّحْمَنِ يَوْماً ذُكِرَا فَنَمَّ مِسْكاً ذِكْرُهُ وَعَنْبَرَا

---

(1) التقديم والبيتان مع اختلاف يسير في أزهار الرياض، ج٣، ص١٢٧؛ الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩١؛ **قلائد العقيان**، ج٤، ص٧١٤؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٩٧؛ الذهبي، **شذرات الذهب**، ج٤، ص٦٥، وقد قدّم لها في: **الذخيرة** بـ"فمن ذلك قوله يصف طول ليله"، ق٣، م٢، ص٨٩١، وفي: **قلائد العقيان**، ج٤، ص٧١٤؛ و**وفيات الأعيان**، ج٣، ص٩٧، بـ: "وله في طول الليل".

(2) سقطت من **أزهار الرياض**، ج٣، ص١٢٧.

(3) في: **الذخيرة**:" أو"، ق٣، م٢، ص٨٩١.

(4) في **وفيات الأعيان**: "الجو"، ج٣، ص٩٧.

(5) الخبر والقصيدة في: **أزهار الرياض**، ج٣، ص١٢٧-١٢٨؛ المقرّي، **نفح الطيب**، ج١، ص٦٤٩-٦٥٠.

(6) في **نفح الطيب**: "وحضر ابن السِّيد عند عبدالرحمن الظافر بن ذي النون"، ج١، ص٦٤٩.

(7) سقطت من **نفح الطيب**، ج١، ص٦٤٩.

(8) في **أزهار الرياض**، ج٣، ص١٢٧؛ و **نفح الطيب**: ج١، ص٦٤٩:"وخلعت عليه أضواءَها".

(9) تستر: مدينة بخوز ستان، وقُرْقُوب: قرية من أعمالها، انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص١٤٠-١٤١.

الظَّافِرُ المَلْكُ الَّذِيْ مَنْ ظَفِرَا بِقُرْبِهِ نَالَ العَلاءَ الأَكْبَرَا

لَوْ أَنَّ كِسْرَى رَاءَهُ أَوْ قَيْصَرَا هَلَّلَ إِكْبَاراً لَهُ وَكَبَّرَا

تُبْدِيْ سَمَاءُ المُلْكِ مِنْهُ قَمَرَا إِذَا حِجَابُ الْمَجْدِ عَنْهُ سَفَرَا

يَا أَيُّهَا المُنْضِيْ المَطَايَا بِالسُّرَى تَبْغِيْ غَمَامَ المَكْرُمَاتِ المُمْطِرَا

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ[1]: (الرَّجز)

يَغْلُوْ لِسَانِي فِيكُمُ وَمَا أَفَكْ

فاهْزُزْ بِهِ عَضْباً إِذَا هُزَّ فَتَكْ

قَائِمُهُ قَلْبِيَ وَالغِمْدُ الحَنَكْ

وَقَالَ[2] يَتَغَزَّلُ أَيَّامَ جَرَى فِيْ مَيْدَانِ الصِّبَا مُتَهَافِتاً، وَأَبْدَى لَهُ الجَوَى نَفَساً خَافِتاً، وَهُوَ مِنْ أَبْدَعِ أَنْوَاعِ الاستِعْطَافِ، وَأَحْسَنَ مِنَ النَّوْرِ عِنْدَ القِطَافِ، خَضَعَ فِيْهِ لِمَحْبُوْبِهِ وَذَلَّ، وَهَانَ لَهُ وَابْتَذَلَ، وَرَضِيَ بِمَا سَامَهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَبَذَلَ نَفْسَهُ فِيْ رَشْفَةٍ مِنْ ثَنَايَاهُ الْعِذَابِ، وَتَشَكَّى مِنْ جَوْرِهِ وَحَيْفِهِ، وَبَكَى حَتَّى مِنَ اجْتِنَابِ طَيْفِهِ، وَاسْتَدْعَى رِضَاهُ، وَخَلَعَ ثَوْبَ التَّنَاسُكِ وَنَضَاهُ، وَنَحَا فِيْ اسْتِلْطَافِهِ أَرَقَّ مَنْحَى، وَتَصَامَّ عَنْ قَوْلِ مَنْ عَذَلَ وَلَحَى، وَهَذَا غَرَضُ مَنْ كَوَاهُ الغَرَامُ، وَسَبِيلُ مَنْ رَامَ مِنَ الوِصَالِ مَا رَامَ، فَمَا مَعَ الْهَوَى عِزٌّ وَلا صَبْرٌ، وَمَا هُوَ إِلاَّ ذُلٌّ أَوْ قَبْرٌ. وَالقِطْعَةُ: (الطويل)

أَبَا عَامِرٍ أَنْتَ الحَبِيْبُ إِلَى قَلْبِي وَإِنْ كُنْتُ دَهْراً مِنْ عِتَابِكَ فِيْ حَرْبِ

أَتُعْرِضُ حَتَّى بِالخَيَالِ لَدَى الكَرَى وَتَبْخَلُ حَتَّى بِالسَّلامِ مَعَ الرَّكْبِ

كَأَنِّيَ أَخُوْ ذَنْبٍ يُجَازَى بِذَنْبِهِ وَمَا كَانَ لِيْ غَيْرَ الْمَوَدَّةِ مِنْ ذَنْبِ

فَيَا سَاخِطاً هَلْ مِنْ رُجُوْعٍ إِلَى الرِّضَا وَيَا نَازِحاً هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى القُرْبِ

وَيَا جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ هَلْ يَقْطَعُ العِدَا بِجِرْيَالِكَ[3] الْمَخْتُوْمِ أَوْ مَائِكَ الْعَذْبِ

وَيَا بَائِناً بَانَ الْعَزَاءُ بِبَيْنِهِ فَأَصْبَحْتُ مَسْلُوْبَ العَزِيْمَةِ وَالْقَلْبِ

أَذِقْنِيَ بِالعُتْبَى جَنَى النَّحْلِ مُنْعِماً فَإِنَّكَ قَدْ جَرَّعْتَنِيْ الصَّابَ بِالعَتْبِ

وَكُنْتُ أَرَى الهِجْرَانَ أَعْظَمَ حَادِثٍ فَقَدْ صَارَ عِنْدَ الْبَيْنِ مِنْ أَصْغَرِ الْخَطْبِ

---

(١) التقديم والشعر في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٢٨-١٢٩.

(٢) التقديم والقطعة في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٢٩-١٣٠.

(٣) الجِرْيال: الخمر الشديد الحمرة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، جرل.

أَتَتْرُكُنِي رَهْناً بِأَيْدِي حَوَادِثٍ　　　غَدَوْتُ لَهَا نَهْباً وَمَا كُنْتُ بِالنَّهْبِ

سَأَجْعَلُ عِيْداً يَوْمَ عَوْدِكَ يَغْتَدِي　　　مُحَيَّاكَ فِيْهِ قِبْلَةُ الْهَائِمِ الصَّبِّ

أُقِيْمُ لِوَاءَ الوَصْلِ فِي حُلَّةِ الصِّبَا　　　بَةِ وَأُضْحِي بِالصَّبَابَةِ وَالكَرْبِ

لَكَ القَلْبُ مَا فِيْهِ لِغَيْرِكَ مَنْزِلٌ　　　مَنَحْتُكَهُ فَانْزِلْهُ بِالسَّهْلِ وَالرُّحْبِ

وَقَالَ[1] شَاكِياً مِثْلَ هَذِهِ الشَّكْوَى، مُخْبِراً بِمَا يَلْقَاهُ مِنَ الْبَلْوَى:　　　(الطويل)

خَلِيْلَيَّ هَلْ تُقْضَى لُبَانَةُ هَائِمِ　　　أَمِ الْوَجْدُ وَالتَّبْرِيْحُ ضَرْبَةُ لازِمِ

فَإِنِّي بِمَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ مُغْرَمٌ　　　كَسَالٍ وَقَلْبِي بَائِحٌ مِثْلَ كَاتِمِ

وَلِي عَبَرَاتٌ يَسْتَهِلُّ غَمَامُهَا　　　بِخَدِّي إِذَا لاحَتْ بُرُوْقُ المَبَاسِمِ

كَفَى حَزَناً أَنِّي أَذُوْبُ صَبَابَةً　　　وَأَشْكُو الَّذِي أَلْقَى إِلَى غَيْرِ رَاحِمِ

وَأَرْتَعُ مِنْ خَدَّيْهِ فِي جَنَّةِ المُنَى　　　وَيَصْلَى فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ بِجَاحِمِ

تَقَضَّى الصِّبَا وَاللَّهْوُ إِلاَّ حُشَاشَةً　　　تُجَدِّدُ لِي عَهْدَ الصِّبَا المُتَقَادِمِ

كَأَنِّيَ لَمْ أَقْطَعْ بِصُبْحٍ وَقَهْوَةٍ　　　زَمَانِيْ وَلَمْ أَنْعَمْ بِأَحْوَرَ نَاعِمِ

وَلا بِتُّ فِي لَيْلِ الغَوَايَةِ لائِماً　　　لَهُ تَحْتَ أَسْتَارِ الدُّجَى وَهْوَ لائِمِي

إِذَا مَا أَدَارَ الكَأْسَ وَهْنَاً حَسِبْتُهُ　　　يُدِيْرُ هِلالاً طَالِعاً فِي غَمَائِمِ

أَبَا حَسَنٍ[2] إِنِّي بِوُدِّكَ مُعْصِمٌ[3]　　　فَهَلْ أَنْتَ يَوْماً مِنْ جَفَائِكَ عَاصِمِي

جَعَلْتُكَ فِي نَفْسِيَ وَقَلْبِيَ مُحَكَّماً　　　لِتَرْضَى فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَجْوَرَ حَاكِمِ

أَتَظْلِمُنِي وُدِّيْ وَمَا زَالَ فِيْكُمُ　　　قَرِيْعُ عُلاً يُرْجَى لِرَدِّ المَظَالِمِ

وَقَدْ كَانَ فَصَّ الْفَخْرِ فِي خُنْصَرِ العُلا　　　أَبُوْكَ، وَوُسْطَى فَوْقَ جِيْدِ المَكَارِمِ

وَكَمْ ضَمَّ ظَهْرُ الأَرْضِ مِنْكُمْ وَبَطْنُهَا　　　بُدُوْرَ دُجَى مِنْ كُلِّ أَشْوَسَ[4] حَازِمِ

وَأَبْلَجَ فَضْفَاضِ القَمِيْصِ حُلاحِلٍ[5]　　　طَوِيْلِ نِجَادِ السَّيْفِ مَاضِي العَزَائِمِ

وَمَا أَذْهَلَتْنِي عَنْ وِدَادِكَ غَيْبَةٌ　　　قَدَحْتَ بِهَا نَارَ الأَسَى فِي حَيَازِمِي

---

(١) التقديم والقصيدة في: **أزهار الرياض**، ج٣، ص١٣٠-١٣١.

(٢) لعل المخاطب بهذه القصيدة هو القادر بالله بن ذي النون فهذه كنيته.

(٣) مُعْصَم: ممسك؛ انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، عصم.

(٤) الأشوس: وصف من الشوس، وهو المتكبّر، والنظر بمؤخر العين تكبُّراً أو تغيظاً، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، شوس.

(٥) الحلاحل: السيد في عشيرته الشُجاع، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، حلحل.

وكَمْ لِيَ فِيهَا نَحْوَكُمْ مِنْ تَحِيَّةٍ ... أُحَمِّلُهَا مَرْضَى الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ
إِذَا مَرَّ ذِكْرٌ مِنْكَ يَوْماً عَلَى فَمِي ... تَوَهَّمْتُهُ مِسْكاً سَرَى فِيْ خَيَاشِمِي
دَعَانِي إِلَيْكَ الشَّوْقُ فَاهْتَاجَ طَائِرِي ... ضُحَى بِخَوَافٍ لِلْهَوَى وَقَوَادِمِ
وَلَوْ أَنَّنِي فِيْ مُلْحَدِيْ وَدَعَوْتَنِي ... لَلَبَّيْتُكَ مِنْ تَحْتِ الصَّعِيدِ رَمَائِمِي
سَأُصْفِيكَ مَحْضَ الوُدِّ مَا هَبَّتِ الصَّبَا ... وَمَا سَجَعَتْ فِيْ الأَيْكِ وُرْقُ الْحَمَائِمِ

وَقَالَ أَيْضاً[1] جَارِياً عَلَى عَادَتِهِ مِنَ التَّشْبِيبِ، وَسَالِكاً جَادَّتَهُ مِنَ الخُضُوعِ لِلْحَبِيبِ، إِلاَّ أَنَّهُ اعْتَذَرَ مِنَ الْهَوَى فِيْ الْمَشِيبِ، وَأَنْكَرَ أَخْلاقَ الشُّبَّانِ عَلَى الشَّيْبِ: (الطويل)

خَلِيلَيَّ مَا لِلرِّيحِ أَضْحَى نَسِيمُهَا ... يُذَكِّرُنِي مَا قَدْ مَضَى وَنَسِيتُ
أَبَعْدَ نَذِيرِ الشَّيْبِ إِذْ حَلَّ عَارِضِي ... صَبَوْتُ بِأَحْدَاقِ الْمَهَا وَسُبِيتُ!
وَلِيْ سَكَنٌ أَغْرَى بِيَ الْحُزْنَ حُسْنُهُ ... جَرِيءٌ عَلَى قَتْلِ المُحِبِّ مُقِيتُ
تُلاحِظُنِي الْعَيْنَانِ مِنْهُ[2] بِرَحْمَةٍ ... فَأَحْيَا وَيَقْسُوْ قَلْبُهُ[3] فَأَمُوتُ
فَيَا قَمَراً أَغْرَى بِيَ النَّقْصَ وَاكْتَسَى ... كَمَالاً وَوَافَى سَعْدُهُ وَشَقِيتُ
وَلَيْتَ فِرَقِّي إِذْ وَلَيْتَ لِهَائِمٍ ... سَبَاهُ لَمَى كَالشَّهْدِ مِنْكَ وَلِيتُ[4]
وَجُوْدِيْ بِبَرْدِ الْوَصْلِ يَا جَنَّةَ الْمُنَى ... فَإِنِّيَ بِحَرِّ الْوَجْدِ مِنْكَ صَلِيتُ

وَكَتَبَ إِلَيْهِ[5] الكَاتِبُ أَبُوْ الْحَسَنِ رَاشِدُ بن عُرَيْبٍ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى مُعَاطَاةِ قَهْوَةٍ، وَسَاعَاتِ سَلْوَةٍ: (الطويل)

طَرِبْتُ إِلَى شَمْسِيَّةٍ قَدْ تَرَوَّقَتْ ... فَأَرْبَتْ عَلَى الصَّهْبَاءِ لَوْناً وَرَائِحَهْ
فَلَوْ أَنَّ فِيهَا نُقْطَةً هِنْدَسِيَّةً ... لَبَاتَتْ بِهَا فِيْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ بَائِحَهْ
فَكُنْ مُسْعِدِيْ يَا مَنْ سَجَايَاهُ لَمْ تَزَلْ ... وَأَخْلاقُهُ تُغْنِي عَنِ الْمِسْكِ فَائِحَهْ

فَأَجَابَهُ رَحِمَهُ اللهُ[6]: (الطويل)

---

(١) التقديم والقطعة في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣١؛ وأورد ابن سعيد الأبيات من ١-٢و ٤-٥، وقدم لها بـ:" وقوله"، المغرب، ج١، ص٣٨٦.

(٢) في المغرب: "منها"، ج١، ٣٨٦.

(٣) في المغرب: "قلبها"، ج١، ص٣٨٦.

(٤) الليت: صفحة العنق، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ليت.

(٥) التقديم والأبيات في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٢.

(٦) التقديم والأبيات في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٢.

طَرِبْتُ فَأَطْرَبْتَ الْخَلِيْلَ إِلَى الَّذِيْ طَرِبْتَ لَهُ فَالنَّفْسُ نَحْوَكُ جَانِحَهْ
وكَمْ أَسْكَرَتْنَا مِنْكَ مِنْ غَيْرِ قَهْوَةٍ شَمَائِلُ تُغْنِيْنَا عَنِ الْمِسْكِ فَائِحَهْ
فَلِلَّهِ أَيَّامٌ بِقُرْبِكَ أَسْعَدَتْ غَوَادٍ عَلَيْنَا بِالسُّرُوْرِ وَرَائِحَهْ
فَسَاعَاتِيَ الطُّوْلَى لَدَيْكَ قَصِيْرَةٌ وَصَفْقَةُ كَفِّيْ فِيْ التِّجَارَةِ رَابِحَهْ

وَقَالَ يَصِفُ كِتَاباً[1] وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ مَحْبُوْبٍ كَانَ هَجَرَهُ، وَوَعَدَهُ فِيْهِ بِاللِّقَاءِ وَبَشَّرَهُ: (البسيط)

نَفْسِيْ فِدَاءُ كِتَابٍ حَازَ كُلَّ مُنَى جَاءَ الرَّسُوْلُ بِهِ مِنْ عِنْدِ مَحْبُوْبِ
مُبَشِّراً أَنَّ ذَاكَ السُّخْطَ عَادَ رِضَى وَبُدِّلَتْ مِنْهُ مِنْ بُعْدٍ بِتَقْرِيْبِ
حَسِبْتُهُ نَاظِراً نَحْوِيْ بِنَاظِرِهِ وَمُهْدِياً لِيَ مَا فِيْ فِيْهِ مِنْ طِيْبِ
ظِلْتُ أُطْوِيْهِ مِنْ وَجْدٍ وَأَنْشُرُهُ وَكَادَ يُبْلِيْهِ تَقْبِيْلِي وَتَقْلِيْبِي
كَمْ قُبْلَةٍ لِيَ فِيْ عُنْوَانِهِ عَذُبَتْ وَبَرَّدَتْ بِالتَّلَظِّيْ حَرَّ تَعْذِيْبِ
كَأَنَّهُ حِيْنَ جَلَّى الْحُزْنَ عَنْ خَلَدِيْ قَمِيْصُ يُوْسُفَ فِيْ أَجْفَانِ يعقوبِ[2]
لَوْ كَانَ مَا فِيْهِ مِنْ مَوْعُوْدِهِ كَذِباً شَفَى فَكَيْفَ بِوَعْدٍ غَيْرِ مَكْذُوْبِ

وَكَتَبَ إِلَيْهِ[3] بَعْضُ إِخْوَانِهِ مُتَمَثِّلاً بِقَوْلِ القَائِلِ: (الطويل)

وِدَادُكُمُ[4] كَالوَرْدِ لَيْسَ بِدَائِمٍ وَلا خَيْرَ فِيْمَنْ لا يَدُوْمُ لَهُ عَهْدُ
وَوُدِّي لَكُمْ كَالآسِ حُسْناً وَبَهْجَةً لَهُ خُضْرَةٌ تَبْقَى إِذَا ذَهَبَ الوَرْدُ[5]

فَرَاجَعَهُ[6] بِهَذَا الشِّعْرِ: : (الطويل)

لَعَمْرِيْ لَقَدْ شَرَّفْتَ وُدِّيْ بِثَلْبِهِ وَصَيَّرْتَ لِيَ فَضْلاً عَلَيْكَ وَمَفْخَرَا
صَدَقْتَ: وِدَادُ الوَرْدِ رَطْباً وَيَابِساً وَمَاءُ إِذَا عَصْرُ الأَزَاهِرِ أُنْبِرَا

---

(١) التقديم والأبيات في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٢.
(٢) حول قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام، انظر: ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط ٤، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠١ هـ، ج٢، ص٣٢.
(٣) التقديم والبيتان في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٢ -١٣٣. والبيتان لأبي عيينة بن محمد بن أبي عيينة من المهالبة (آل مهلب)، وهما من قصيدة أنشدها في دُنيا التي كان يتشبب بها، وقد زُوجت وبلغه أنها تهدى إلى زوجها. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٤٤٠؛ الحماسة المغربية، ج٢، ص٩٦٤.
(٤) في: الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٤٤٠؛ والحماسة المغربية، ج٢، ص٩٦٤: "أرى عَهْدَها".
(٥) ورد هذا البيت في: الأغاني، ج٢٠، ص٤٤٠ والحماسة المغربية، ج٢، ص٩٦٤، على النحو التالي:
وعهدي لها كالآس حسناً ونضرةً له نضرةٌ تبقى إذا فَني الورد
(٦) التقديم والبيتان في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٣.

وَوُدُّكَ مِثْــلُ الآسِ لَــيْسَ بِنَــافِعٍ وَلا نَــافِحٍ إلاَّ إذَا كَــانَ أَخْــضَرَا

أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ الــوَرْدَ يُكْــرَمُ إنْ ذَوَى وَيُطْــرَحُ فِــيْ المِيْــضَاةِ آسٌ تَغَيَّــرَا

أَفَضَّلْتَ عَبْدَ السُّوْءِ جَهْـلاً عَلَـى الَّـذِيْ غَدَا فِيْ الأَزَاهِيْـرِ الأَمِيْـرِ المُـؤَمَّرَا

وكَتَبَ[1] إلَى الكَاتِبِ أَبِيْ عَبْدِاللهِ بنِ أَبِيْ الْخِصَالِ[2]، يُرَاجِعُهُ عَنْ شِعْرٍ خَاطَبَهُ بِهِ: (المتقارب)

بِمَــاذَا أُكَــافِئُ نَــدْباً كَــسَانِي حِلَىً مِنْ عُـلاهُ بِهَـا قَـدْ حَبَـانِي

وَقَلَّــدَ جِيْــدِيَ مِــنْ دُرِّهِ مَـا لَـمْ تُقَلَّـدْ نُحُـورُ الْغَـوَانِي

مَحَاسِــنُ أَصْــبَحَ لِــيْ لَفْظُهَــا مُعَاراً وَأَضْـحَتْ لَدَيْـهِ الْمَعَـانِي

فَقُــلْ لِلَّــذِيْ حَــازَ خَــصْلَ الْمَــدَى فَلَيسَ يُبَارِيْــهِ فِــيْ الـسَّبْقِ ثَـانِي

أَهَـــذِي شَـــمَائِلُكَ الزَّاهِـــرَا تُ أَهْـدَيْتَهَا أَمْ ثُغُــورُ الْحِـسَانِ

أَمِ الأَنْجُـــمُ الزُّهْـــرُ أَطْلَعْتَهَــا عَلَــى أُفُــقٍ بِــسَمَاءِ البَيَــانِ

أَمِ الوَشْـــيُ مَــا نَمْنَمَــتْ رَاحَتَــا كَ الأَعْيُنُ الحُورُ جَـاءَتْ رَوَانِـي

أَمِ الــرَّوْضُ بَــاتَ نَــدِيْمَ الغَمَــا مِ يُسْقِيْهِ مِنْ غَيْـرِ بِنْـتِ الـدِّنَانِ

يُــضَاحِكُهُ عَــنْ ثُغُــورِ البُــرُوْقِ وَيَــشْدُوْهُ مِــنْ وَعْــدِهِ بِالأَغَــانِي

لَــئِنْ زُفَّ وُدُّكَ نَحْــوِي لَقَــدْ غَدَا مِــنْ فُــؤَادِيَ بَــأَعْلَى مَكَــانِ

وَمَهْمَــا أَسَــاءَتْ بِطُــولِ البُعَــادِ خُطُــوبٌ فَقَـدْ أَحْـسَنَتْ بِالتَّـدَانِي

كَــأَنَّ الزَّمَـــانَ أَتَـــى تَائِبــاً إلَــيَّ وَأَنْــتَ اعْتِــذَارُ الزَّمَــانِ

وَمِنْ شِعْرِهِ[3] الَّذِي يُزْرِي بِزَهْرِ الرِّيَاضِ، وَغُنْجِ الأَعْيُنِ المِرَاضِ، قَوْلُهُ: (الطويل)

أَيَا مُمْرِضاً جِسْمِي بِأَجْفَانِــهِ المَرْضَــى سَلَبْتَ الكَرَى عَنِّي فَهَـبْ مِنِّــي[4] البَغْـضَا

لِيَهْنِــكَ غُمْــضُ العَــيْنِ عَمَّــنْ تَرَكْتَــهُ سَمِيْرَ نُجُـومِ اللَّيْـلِ مَـا يَطْعَـمُ الغُمْـضَا

(١) التقديم والأبيات في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٣-١٣٤.

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي (ت٥٤٠هـ/١١٤٦م)، كان وزيراً كاتباً، متفنناً في العلوم، مستبحراً في الآداب واللغات، عالماً بالأخبار، وزر للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، وكتب عنه رسائل كثيرة، وله تصانيف كثيرة، انظر ترجمته في: الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان**، ج٢، ص٥١٨-٥٣٨؛ ابن بسام، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨-١٩٧٩، ق٣، م٢، ص ٧٨٤-٨٠٩؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص٦٦.

(٣) التقديم والشعر في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٤.

(٤) في: أزهار الرياض: "منه لي"، ج٣، ص١٣٤.

أتَسْخَطُ مِنْ ذُلِّـيْ لِعِـزِّكَ فِـيْ الْهَـوَى … وَأَرْضَـى بِخَـدِّي أَنْ يَكُـونَ لَكُـمْ أَرْضَـا

قَضَى اللهُ أَنْ أَشْقَى وَغَيْـرِي بِوَصْـلِكُمْ … سَـعِيدٌ وَمَـنْ يَسْتَطِيعُ رَدّاً لِمَـا يَقْضَى

وَمِمَّا[1] أَغْرَبَ بِهِ وَأَبْدَعَ، قِطْعَةٌ تَنْفَكُّ مِنْهَا سِتُّ قِطَعٍ، وَهِيَ: (الكامل)

نَفْسِيْ الْفِـدَاءُ لِجُـؤْذَرٍ حُلْـوِ اللَّمَـى … مُسْتَحْسَنٍ بِـصُدُوْدِهِ أَضْـنَانِي

فِيْ فِيْهِ سِمْطَا جَوْهَرٍ يُـرْوِي الظَّمَـا … لَوْ عَلَّنِـيْ بِبَـرُوْدِهِ أَحْيَـانِي

ثُمَّ زَادَ[2] فِي غَرَابَةِ هَذَا المَنْزَعِ، بِأَنْ صَنَعَ قِطْعَةً تَنْفَكُّ مِنْهَا تِسْعُ قِطَعٍ، وَهِيَ: (الكامل):

طَيْفٌ سَرَى مِـنْ خَـاطِرِ القَلْـبِ الـذَّوِي … فَوَفَى لَنَـا بِعِدَاتِـهِ وَقَـضَى الـوَطَرْ

بَذَّ[3] الكَرَى عَـنْ نَـاظِرِ الـصَّبِّ الْجَـوِي … وَشَفَى الضَّنَى بِهِبَاتِهِ وَمَـضَى حَـذِرْ

وَقَالَ[4] يَصِفُ تِيْناً أَسْوَدَ مُكَتَّباً[5]: (الكامل):

أَهْـلاً بِتِـيْنٍ كَـالنُّهُوْدِ حَوَالِـكِ … ضُمِّخْنَ مِسْكاً شِـيْبَ بِالكَـافُوْرِ

وَكَـأَنَّ مَـا زُرَّتْ عَلَيْـهِ جُيُوْبُهَـا … شَهْدٌ يُـشَابُ بِسِمْـسِمٍ مَقْـشُوْرِ

وَكَأَنَّمَـا لَبِـسَتْ لُجَيْنـاً مُحْرَقـاً … فِيْهِ بَقَايَا مِـنْ بَيَـاضِ سُـطُوْرِ

وَقَالَ[6] يَصِفُ حَمَّاماً: (الوافر)

أَرَى الحَمَّـامَ مَوْعِظَـةً وَذِكْـرَى … لِكُلِّ فَتَى أَرِيْـبٍ ذِيْ ذَكَـاءِ

يُـذَكِّرُنَا عَـذَابَ ذَوِيْ المَعَاصِـي … وَأَحْيَانـاً نَعِـيْمَ الأَتْقِيَـاءِ

شَقَا هَجْرٍ يَـشُوْبُ نَعِـيْمَ وَصْـلٍ … وَحَرُّ النَّارِ فِيْ بَـرْدِ الهَـوَاءِ

إِذَا مَـا أَرْضُـهُ الْتَهَبَـتْ بِنَـارٍ … تَبَادَرَ سَـمْكُهُ هَطْـلاً بِمَـاءِ

كَصَدْرِ الصَّبِّ جَاشَ بِمَـا يُلاقِـيْ … فَلَجَّ الطَّـرْفُ مِنْـهُ بِالْبُكَـاءِ

كَـأَنَّ لَـهُ حَبِيْبـاً بَـانَ عَنْـهُ … فَبَانَ وَخَانَهُ حُـسْنُ العَـزَاءِ

وَمِنْ شِعْرِهِ[7] المُطْرِبِ، وَتَغَزُّلِهِ المُعْجِبِ، قَوْلُهُ: (الطويل)

---

(١) التقديم والبيتان في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٤.
(٢) التقديم والقطعة في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٤.
(٣) بذَّ الشيء: فاقه وغلبه، انظر: ابن منظور، لسان العرب، بذذ.
(٤) التقديم والقطعة في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٤-١٣٥.
(٥) مكتَّب: مخروز، من كتبت السقاء إذا خرزته. انظر: ابن منظور، لسان العرب، كتب.
(٦) التقديم والشعر في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٥.
(٧) التقديم والشعر في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٥.

أَيَـا قَمَـراً فِـيْ وَجْنَتَيْـهِ نَعِـيْمُ ... وَبَيْنَ ضُلُوْعِي مِنْ هَـوَاهُ جَحِـيْمُ

إِلَى كَمْ أُقَاسِيْ مِنْـكَ رَوْعـاً وَقَـسْوَةً ... وَصَـرْماً وَسُـقْماً إِنَّ ذَا لَعَظِـيْمُ

وَإِنِّيْ لأَنْهَـى الـنَّفْسَ عَنْـكَ تَجَلُّـدَا ... وَأَزْعُـمُ أَنِّـيْ بِالـسُّلُوِّ زَعِـيْمُ

فَإِنْ خَطَرَتْ بِالقَلْبِ ذِكْـرَاكَ خَطْـرَةً ... ظَلَلْـتُ بِـلا لُـبٍّ إِلَيْـكَ أَهِـيْمُ

وَمِنْ مَدِيْحِهِ[1] الَّذِيْ أَبْدَعَ فِيْهِ وَأَغْرَبَ، وَذَهَبَ فِيْهِ أَحْسَنَ مَذْهَبٍ، قَوْلُهُ يَمْدَحُ القَادِرَ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: (الطويل)

ضَـمَانٌ عَلَـى عَيْنَيْـكَ أَنِّـيْ هَـائِمُ ... تَـصَدَّعُ قَلْبِـيْ حَـوْلَ وَصْـلِكَ حَـائِمُ

فُـؤَادُكَ قَـاسٍ لَـيْسَ لِـي فِيْـهِ رَحْمَـةٌ ... وَيُـوْهِمُ مِنْـكَ اللَّحْـظُ أَنَّـكَ رَاحِـمُ

ظَلَمْـتَ وَلَـمْ تَرْهَـبْ مَغَبَّـةَ مَـا جَنَـتْ ... جُفُـوْنٌ لَهَـا فِـيْ العَاشِـقِيْنَ مَلاحِـمُ

أَظُـنُّ عِقَـابَ اللهِ نَالَـكَ فِـي الْهَـوَى ... فَخَـصْرُكَ مَظْلُـوْمٌ وَرِدْفُـكَ ظَـالِمُ

وَلَحْظُكَ مُضْنًى مَـا يُفِيْـقُ مِـنَ الـضَّنَى ... كَمَـا ضَـنِيَتْ فِيْـكَ الجُـسُوْمُ النَّـوَاعِمُ

وَخَـدُّكَ بِالأَلْحَـاظِ يَجْـرَحُ دَائِبـاً ... فَكُـلٌّ لَـهُ بِـاللَّحْظِ مُـدْمٍ وَكَـالِمُ

يَقُوْلُوْنَ غُصْنُ البَـانُ مَـا حَـازَ خَـصْرُهُ ... وَدِعْصُ[2] النَّقَا مَا حَـازَ مِنْـهُ المَعَـاكِمُ

وَفِـيْ طَوْقِـهِ بَـدْرُ الدُّجُنَّـةِ طَـالِعٌ ... تَجَلَّلَـهُ طَـغْمٌ مِـنَ اللَّيْـلِ فَـاحِمُ

وَقَـالُوا اللَّمَـى المُحْمَـرُّ فَـصٌّ عَقِيْقَـةٌ ... بِمَبْـسَمِهِ المَغْـسُوْلِ وَالثَّغْـرُ خَـاتِمُ

لَكَ المَثَلُ الأَعْلَـى وَفِـيْ الجَهْـلِ عَـاذِرٌ ... بِتَقْـصِيْرِهِمْ إِنْ لامَهُـمْ فِيْـكَ لائِـمُ

وَمَـا أَنْـتَ إِلاَّ آيَـةُ اللهِ فِـيْ الْـوَرَى ... وَحِكْمَتُـهُ إِنْ قَـالَ بِـالْعِلْمِ عَـالِمُ

لَقَـدْ بَخَـسُوْكَ الْحَـقَّ جَهْـلاً وَأَخْطَـأَتْ ... بِمَـا رَجَمَـتْ فِيْـكَ الظُّنُـوْنُ الـرَّوَاجِمُ

كَمَا بَخَسُوا يَحْيَـى بِـنَ ذِيْ النُّـوْنِ حَقَّـهُ ... فَقَالُوا ابْنُ سُـعْدَى فِـي النَّـوَالِ وَحَـاتِمُ

وَقَالُوا حَكَى الضِّرْغَامُ فِيْ الـرَّوْعِ بَأْسَـهُ ... وَذَلِـكَ مَـا لا تَدَّعِيْـهِ الـضَّرَاغِمُ

وَقَالُوا هُـوَ الـدَّهْرُ الَّـذِيْ لَـيْسَ دُوْنَـهُ ... حِمًـى وَهُـوَ الْمَخْـدُوْمُ وَالـدَّهْرُ خَـادِمُ

وَأَنَّي لِلَيْـثِ الْغَـابِ فِـيْ الـرَّوْعِ بَأْسُـهُ ... إِذَا صَـالَ فِـيْ الهَيْجَـاءِ وَالنَّقْـعُ قَـاتِمُ

وَمِـنْ أَيْـنَ لِلـسَّيْفِ الحُـسَامِ مَـضَاؤُهُ ... إِذَا انْتُـضِيَتْ لِلْحَـرْبِ مِنْـهُ العَـزَائِمُ

---

(١) التقديم والشعر في: أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٥.

(٢) الدعص: قور من الرحل مجتمع. انظر: ابن منظور، لسان العرب، دعص.

وَمِنْ أَيْنَ لِلْمُزْنِ الكَنَهْوَرِ[1] جُودُهُ إِذَا انْهَمَلَتْ مِنْ رَاحَتَيْهِ الْمَكَارِمُ

لَنَا بَارِقٌ مِنْ بِشْرِهِ لَيْسَ خُلَّباً إِذَا شَامَهُ يَوْماً مِنَ النَّاسِ شَائِمُ

عَلَيْهِ مِنَ المَأْمُونِ يَحْيَى مَشَابِهٌ تَرَى وَلِإسْمَاعِيلَ فِيْهِ مَوَاسِمُ[2]

هُمَامَانِ شَادَا بَيْتَ مَجْدٍ لَهُ التُّقَى أَسَاسٌ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَعَائِمُ

أَبَا الحَسَنِ اسْتَنْشِقْ ثَنَائِي فَإِنَّمَا فُؤَادِيَ دَارِيْنٌ وَشِعْرِيْ لَطَائِمُ[3]

لَبِسْتَ حُلِيَّ لِلْفَضْلِ حَاكَهَا التُّقَى وَمُعْلِمُهَا الإِفْضَالُ وَالمَجْدُ رَاقِمُ

وَأَوْرَثَكَ المَأْمُونُ صَارِمَهُ الَّذِيْ بِهِ لَمْ تَزَلْ تُفْرَى الطُّلَى وَالجَمَاجِمُ

فَصَمِّمْ وَلا تُحْجِ فَإِنَّكَ صَارِمٌ حُسَامٌ وَمِنْهُ فِيْ يَدِ اللهِ قَائِمُ

لَكَ السَّرْحَةُ الغَنَّاءُ فِيْ المَجْدِ لَمْ تَزَلْ تُرَوِّضُهَا مِنْ رَاحَتَيْكَ الغَمَائِمُ

رِيَاضٌ لَنَا سَجْعٌ بِمَدْحِكَ وَسْطَهَا كَأَنَّا عَلَى أَفْنَانِهِنَّ حَمَائِمُ

وَدُونَكَ بِكْراً مِنْ ثَنَائِي زَفَفْتُهَا إِلَيْكَ كَمَا زُفَّ الْغَوَانِيَ الْكَرَائِمُ

كَسَتْكَ بَطَلْيَوْسٌ بِهَا عَبْقَرِيَّةً كَمَا انْشَقَّ عَنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ كَمَائِمُ

وَمَا أَنْتَ ذُوْ فَقْرٍ لِمَا أَنَا وَاصِفٌ وَلا أَنَا ذُوْ إِفْكٍ بِمَا أَنَا زَاعِمُ

سَجَايَاكَ تُمْلِيْ الْفَخْرَ وَالدَّهْرُ كَاتِبٌ وَعَلْيَاكَ تُعْطِي الدُّرَّ وَالشِّعْرُ نَاظِمُ

فَدُمْ عَامِراً لِلْمَجْدِ تَعْنُو لَكَ الْعِدَا وَتَحْسُدُنَا فِيْكَ النُّجُومُ النَّوَاجِمُ

قَالَ أَبُوْ نَصْرٍ: هَذَا مَا سَمَحَ بِهِ خَاطِرٌ لَمْ تَخْطُرْ عَلَيْهِ سَلْوَةٌ، وَذِهْنٌ نَابَ لَمْ تُرْهَفْ لَهُ نُبُوَّةٌ، وَوَقْتٌ أَضْيَقُ مِنْ الْمَأْزِقِ المُتَدَانِيْ، وَمَقْتٌ لِلزَّمَنِ شَغَلَنِيْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَعَدَانِيْ، أَتَجَرَّعُ بِهِ الصَّابَ، وَأَتَدَرَّعُ مِنْهُ الأَوْصَابَ، فَمَا أَتَفَرَّغُ لإِنْشَاءِ قَوْلٍ، وَلاَ أَصْحُوْ مِنَ الانْتِشَاءِ مِنْ هَوْلٍ، وَإِلاَّ فَمَحَاسِنُ هَذَا الرَّجُلِ كَانَتْ أَهْلاً أَنْ يَمْتَدَّ عَنَانُهَا، وَيُسْكَبَ عَنَانُهَا، لَكِنْ عَاقَ عَنْ ذَلِكَ الدَّهْرُ الَّذِيْ شَغَلَ، وَأَوْغَلَنَا فِيْ شِعَابِ الأَنْكَادِ حَيْثُ أَوْغَلَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأَكْرَمِ الأَجْزَلِ وَرَحْمَتُهُ تَعَالَى وَجَلَّ.

[انتهى التأليف البارع][4].

---

(١) الكنهور من السحاب: المتراكب الثخين، انظر: ابن منظور، لسان العرب، كنهر.

(٢) في أزهار الرياض: "مياسم"، ج٣، ص١٣٥.

(٣) لَطَائِمُ: اللطيم واللطيمة: المسك أو الطيب، واللطيمة وعاء المسك، انظر: ابن منظور، لسان العرب، لطم.

(٤) زيادة من أزهار الرياض، ج٣، ص١٣٥.